الفصل الخمسون

البيوت

ومساكن العرب متباينة مختلفة . منها : البيوت المتنقلة ، ومنهـا المباني المبنية بالمدر أو الحجر ، وهي أبنية أهل الحضر . وهي مختلفة أيضاً في طرازها المعماري وفي سعتها ومادتها ويكون اختلافها باختلاف مكانها وباختـلاف مكانة صاحبها ، ومنزلته من حيث الغنى والفقر .

والبيت لفظة تطلق على الصغير من البيوت وعلى الكبير منها . وقد جعل (ابن الكلبي) بيوت العرب ستة : قبة من أدم ، ومظلة من شعر ، وخباء من صوف ، وبجـاد من وبر ، وخيمة من شجر ، وقنة من حجر ، وسوط من شعر ، وهو أصغرها . وذكر بعض علماء اللغة أن الخباء بيت صغير من صوف أو شعر ، فإذا كان أكبر من الخباء فهو بيت ، ثم مظلة اذا كبرت عن البيت . وهـي تسمى بيتاً أيضاً اذا كان ضخماً مزوقاً . وذكر بعض آخر ان الخباء بيت يعمـــل من وبر أو صوف أو شعر . ويكون على عمودين أو ثلاثة . والبيت يكون على ستة أعمدة الى تسعة . وذكر ان الخباء هو البيت كيفما كان[1] .

وذكر علماء اللغة ان البناء المبني ، ويراد به أيضاً البيت الذي يسكنه الأعراب في الصحراء . ومنه الطراف والخباء والبناء والقبة والمضرب[2] . والطراف بيت من

---

١ تاج العروس (١/٥٢٩) ، (بات) .
٢ تاج العروس (١٠/٤٦) ، (بني) .

أدم ليس له كفاء ، وهو من بيوت الأعراب ذكر في شعر طرفة بن العبد :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد[1]

وقد اشتهر (بنو قيدار) بخيمهم المصنوعة من شعر الماعز . وقد أشير اليها في التوراة . وهم رعاة في الغالب يعيشون على الرعي ، ولـذا اتخذوا بيوتهم من شعر الماعز ، فصارت ذات لون أسود . وقد اشتهروا ببراعتهم في الرمي بالقوس[2]. وأصحاب الخيام المصنوعة من شعر الماعز أو من الصوف،هم من الأعراب أصحاب الماشية ، الذين يعيشون في مواضع تكثر فيها الأمطار وتكون غير بعيدة عن المدن والقرى ومواضع الماء ، ولذلك يعيشون في الغالب على الرعي .

وفي سعة الخيمة دلالة على منزلة صاحبها ومكانته وثرائه . ولذلك يفتخر العزيز منهم بسعة بيته ، أي خيمته . وقد تقطع الخيمة بقاطع ، يقسمها الى قسمين : قسم للحريم،أي للنساء والسكن،لا يدخله غريب . وقسم يكون للرجال وللضيوف، يجلسون ويأكلون فيه . ويكون نادياً ومضيفاً يخصص للقادمين ولضيوف صاحب ذلك البيت .

ولسيد القبيلة خيمة كبيرة تكون (مضرب القبيلة) ، ومقر السيد الرئيس ونادي القوم . يسمر فيها (رب القبيلة) ، ويأوي اليها الضيوف[3] . واليها يلتجىء المحتاج ومن به حاجة الى الاقراء أو أية حاجة أخرى . ويفتخر سيد القبيلة بمضربه هذا ، ويتباهى به على أقرانه ، وتفتخر قبيلته به أيضاً ، لأنه يرفع رأسها بين القبائل . وورد المضرب : الفسطاط العظيم ، وهو فسطاط الملك[4] .

وتضرب للسادات الأشراف والأغنياء قبب خاصة تكون من الأدم . فكان لرؤساء القبائل أصحاب العز قباب من أدم ، كما كان من عادة ملوك الحيرة ضرب قباب من الأدم لأصحاب الجاه وسادات القبائل الكبار الذين يفدون عليهم . وتعتبر هذه القباب من امارات التعظيم والتفخيم والامتياز والجاه عند الملوك . ولذلك

---

١ اللسان (٩/٢١٩) ، (طرف) ، تاج العروس (٦/١٧٩) ، (طرف) .
٢ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠) .
٣ تاج العروس (٣/٢٤٧) ، (الكويت) (ضرب) .
٤ تاج العروس (١/٣٤٨) ، (ضرب) .

يعامل من تضرب له القبة معاملة خاصة . وتعرف قبة الأدم بـ (قبة المبناة) أيضاً[1]. وذكر بعض علماء اللغة أن القبّة هي البناء من الأدم خـاصة . وذكر بعض آخر أن القبّة من الخباء بيت صغير مستدير ، وهو من بيوت العرب[2] .

وذكر (الطبري) في كلامه عن غزوة الخندق ، أن الرسول أدار المعركة (وهو ضارب عليه قبّة تُرْكِيّة)[3] . ولم يشر إلى شكل هـذه القبّة ولا إلى سبب تسميتها بذلك .

وقد اشتهرت (القباب الحُمْر) المصنوعة من أدم ، يأوي اليهـا أصحاب الجاه واليسار والمشهورون . وقد ذكر أن النابغة الذبيانـي كان يضرب له بسوق عكاظ قبة حمراء من أدم ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان ممن أنشده (حسان بن ثابت) . وقد انتقده النابغة بأدب ولطف[4] . وقيل إن بيت الأدم ، قبة الملك ، يجتمع فيها كل ضرب ، يأكلون الطعام[5] .

ويذكر أهل الأخبار ان العرب تضرب الأخبية لأنفسها ، والمضارب لملوكها، والمضارب انما ترتبط بالأوتاد[6] . وذكر ان الخباء هو ما كان من وبر أو صوف ولا يكون من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، ومـا فوق ذلك فهو بيت . وقيل : الخباء من شعر أو صوف ، وهو دون المظلة. وهو من بيوت الأعراب[7] . وذكر ان (المظلة) الكبير من الأخبيـة ذات رواق ، وربما كانت شقة وشقتين وثلاثاً ، وربما كان لها كفاء وهو مؤخرها . قال بعض علماء اللغة انها تكون من الشعر ، وقال بعض آخر لا تكون إلا من الثياب[8] .

و (المضرب) الفسطاط العظيم ، وهو فسطاط الملك . وقـد استعمل للملوك خاصة ، ولأصحاب الجاه والعز والمكانة . ولهذا كانوا إذا مدحوا إنساناً وأرادوا

---

١ البرقوقي (ص ١٥٦) ، اللسان (١٤/٩٥) ، (بني) .
٢ تاج العروس (١/٤١٩) ، (قبب) .
٣ تأريخ الطبري (٢/٥٦٨) .
٤ البرقوقي (ص ٣٧١ وما بعدها) .
٥ المعاني الكبير (٣/١٢٥٤) .
٦ مجمع الامثال (١/٣٦٤) .
٧ اللسان (١٤/٢٢٣) ، (خبي) ، (١٤/٩٥) ، (بني) ، تاج العروس (١/٥٩ وما بعدها) ، (خبا) .
٨ تاج العروس (٧/٤٢٧) ، (ظلل) .

الإشادة بمكانته وبمنصبه قالوا : (إنه لكريم المضرب شريف المنصب) ، وإذا أرادوا ذمّ إنسان ، قالوا : (ما يعرف له مضرب عسلة)[1] ، و (لا منبض عسلة) ، أي من النسب والمال ، يقال ذلك إذا لم يكن له نسب معروف ولا يعرف اعراقه في نسبه[2] . ولما كانت المضارب من بيوت الملوك ، وأهل الجاه وهم خيار الناس ونخبتهم ، صارت المضارب كناية عن الجاه والشرف والمال .

و (السرادق) ، كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء . وقيل: كل بيت من (كُرْسُفٍ) فهو سرادق[3] . وترد اللفظة في الفارسية بمعنى حائط أو حاجز من نسج غليظ حول خيمة[4] .

وذكر أن (الفسطاط) ضرب من بيوت الشعر . والظاهر أنه البيت الكبير . وورد (الفسطاط العظيم) ، وهو (فسطاط الملك)[5] . وذكر أن الفسطاط هو مجتمع الناس . وذكر أن الفسطاط ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق وبه سميت المدينة : مدينة الفسطاط[6] . ويظهر أن الكلمة من الألفاظ المعربة عن الفارسية، وهي في هذه اللغة بمعنى (خيمة)[7] .

و (الطراف) خباء من أدم يتخذه الأغنياء[8] . و (الطوارف) من الخباء ما رفعت من جوانبه ونواحيه للنظر الى خارج[9] . قال عروة بن الورد :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد[10]

يعني ان الفقراء يعرفونني بإعطائي ، والأغنياء يعرفونني بفضلي وجلالة قدري.

وتكوّن بيوت الأعراب المتناثرة ، وهي خيامها ، منازل القبيلة ومضاربها . وتحيط خيامها بخيم الرئيس . فتكون من ذلك مستوطنة بدوية . ومنها يتألف مجتمع

---

١ بفتح الميم وكسر الراء .
٢ تاج العروس (١/٣٤٩) ، (ضرب) .
٣ اللسان (١٠/١٥٧ وما بعدها) .
٤ غرائب اللغة (٢٣٣) .
٥ تاج العروس (٣/٢٤٧) ، (الكويت) (ضرب) .
٦ اللسان (٧/٣٧١) ، (فسط) ، تاج العروس (٥/١٩٨ وما بعدها) ، (فسط) .
٧ غرائب اللغة (٢٤٠) .
٨ تاج العروس (٣/٤٣٧) ، (غبر) .
٩ تاج العروس (٦/١٧٨) ، (طرف) .
١٠ تاج العروس (٣/٤٣٧) ، (غبر) .

البوادي . ويرتبط حجم هذه المستوطنات ، بسعة ماء المكان وبعدد بيوت القبيلة النازلة به ، فإن كان الماء قليلاً ، قلّ عدد خيامها ، وإن كان غزيراً ، كثر عددها. واتسعت رقعة المضارب اتساعاً يتناسب مع كفاءة ذلك الماء وما على الأرض من رزق تعيش إبلهم عليه .

بيوت أهل المدر :

أما أهل القرى والمدن ، أي أهل المدر ، وهم المستقرون وشبه المستقرين ، فإنهم يقيمون في بيوت ثابتة أو شبه ثابتة . وهي تتفاوت بالطبع بتفاوت منازل ودرجات أصحابها . فربّ بيت يكون من خيمة أو من أغصان شجر وعيدان وجريد ، ويقال له (العنة) . وقد قيل إن العنة الخيمة تتخذ من أغصان الشجر[1] . وقيل البيت يعمل من الخشب[2] . وربّ بيت يكون من طين ، ويسقف بجريد أو بأغصان أو بحصير يطين أيضاً . ويختلف حجم مثل هذا البيت باختلاف حجم العائلة . وقد يبنى البيت باللبن وهو الغالب ، وتكون حالة أصحابها أحسن من حالة أصحاب بيوت الطين .

وكنتيجة لتيسر مواد البناء في العربية الجنوبية ، ظهرت مدن لا نجد لها مثيلاً في أنحاء أخرى من جزيرة العرب . مدن كبيرة بيوتها ثابتة وبعضها ذو جملة طوابق ، تحاط بأسوار عالية وأبراج وحصون يأوي فيها المدافعون . وقد تمكن المنقبون من التنقيب في بعض خرائبها ومن وضع مخططات لبعض شعابها أو مخططات عامة مبدئية للمدينة كلها وللسور الذي كان يحتضنها .

والقرية في نظر علماء العربية لفظة يمانية الأصل . يقولون إنها المصر الجامع ، وكل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً . وتقع على المدن وغيرها[3] . ولكن الأغلب أنها أصغر حجماً من المدن . وأنها تكون غير مسورة . فإذا أحاط بها (سور) صارت مدينة . وذلك على نحو ما نفهم من نصوص الجاهليين ومن

---

١ الاشتقاق (ص ٣١٢) .
٢ المعاني الكبير (٢/١١٢١) .
٣ تاج العروس (١٠/٢٩٠) ، (قرى) .

المتعارف عليه بين الساميين من أن القرية أصغر حجماً من المدينة . وأن المدن هي القرى الكبيرة المسورة[1] . وقد فهم علماء العربية هذا المعنى بالنسبة للمدينة أيضاً . إذ قالوا مدينة : الحصن يبنى في اصطمة الأرض[2] . وتقابل (مدنتو) Medinto في لغة بني إرم[3] . وتقابل لفظة (هكر) (هجر) (هجرن) (هكرن) في لغة أهل اليمن . وهي لا تزال مستعملة في العربية الجنوبية لهـذا اليوم . وذكر علماء اللغة أن (هجر) هي القرية بلغة حمير[4].

وورد أن العرب تسمي (القرى) مصانع ، واحدتها مصنعة . يقال هو من أهل المصانع ، أي القرى . و (المصانع) أيضاً المباني من القصور والحصون[5] .

ويطلق العرب على الرجل من أهل القرى مصطلح : (أخضر النواجذ) ، يريدون أنه ممن يأكل الكُرّات والبصل والبقول والخضر[6] . ولا يتناول الأعراب هذه الخضر .

وفي العربية لفظة (الحير) بمعنى شبه الحظيرة والحمى ، و (الحيرة) بمعنى المعسكر والمقام ، و (الحائر)[7] . وهي من مواطن الحضر ، أي من المستوطنات . وقد كانت مستعملة بين الجاهليين . ومثلها (الحاضرة) و (الحضرة) و (الحضر) ، وهي المدن والقرى والريف . وهي من مساكن الحضر وأهل القرار[8] .

وتسمى المدن بأسماء . أما القرى والمستوطنات الصغيرة ، فقد تسمى بأسماء ، وقد تنسب الى أصحابها المالكـين لها أو الى العشائر أو الأفخاذ أو الأسر النازلة بها . ولا تزال هذه العادة متبعة في مواضع من جزيرة العرب . أما بيوت كبار الناس وأغنيائهم ، فتستعمل فيها الحجارة والخشب وغير ذلك من مواد تجعل البناء يدوم أمداً ويعيش مدة طويلة ، وبفضل ذلك بقيت آثار بعض منها حتى الآن .

ولا يزال النـاس في مواضع من جزيرة العرب ، ولا سيما الأماكن المعزولة

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٢١) ، Hastings, p. 143
٢ تاج العروس (٩/٣٤٣) .
٣ غرائب اللغة (٢٠٥) .
٤ تاج العروس (٣/٦١٤) ، (هجر) .
٥ تاج العروس (٥/٤٢٢) ، (صنع) .
٦ الحيوان (٣/٢٤٨) ، (هارون) .
٧ تاج العروس (٣/١٦٤ وما بعدها) ، (حار) .
٨ تاج العروس (٣/١٤٦) ، (حضر) .

القصية ، يتخذون بيوتاً تشبه بيوت العرب قبل الاسلام ، وخاصة بيوت سادات القبائل والرؤساء . وبعض ذلك قصور وحصون ذوات جدر وأسوار مرتفعة وتقوم في طرف من الأرض أبراج لها مزارق ومرابيع للدفاع ، وأبراج مربعة . وقد تقع البيوت في عدة طبقات تحمى بمختلف وسائل الدفاع . وتستعمل الزينة من أصباغ محلية ومن حجارة طبيعية ذوات ألوان مختلفة . وأعتقد ان هذه الأبنية يجب أن يعنى بدراستها المهندسون المعماريون والآثاريون ، فإن دراستها تحلّ لنا مشكلات كثيرة للفن العربي الجاهلي ، وتوصلنا الى وضع مخططات عن بقايا الأبنية الجاهلية القديمة التي تهدمت غالبيتها،أو اعتدى عليها الانسان ويا للأسف فاستخدم حجارتها في أبنيته الحديثة ، وقضى بذلك على معالمها في الغالب ، وتجاوز على حجارتها المكتوبة فحطّمها وأبادها ، وبذلك ألحق بتأريخ العرب قبل الاسلام ضرراً بليغاً .

وأعظم شيء في المدن هو هياكلها ، أي معابدها المسماة بأسماء الآلهة التي بنيت لها ، وقصور الملوك وسادات القوم وأشرافهم. فلهؤلاء مال مكّنهم من بناء قصور ضخمة ذات جملة طوابق ، بنوها بحجارة طبيعية اقتلعت من الصخور، وزخرفوا الوجوه البارزة منها،وأفنّ فيها الفنانون على وفق أذواقهم وذوق طبيعة بلادهم ، ونشروا الرخام الأبيض والملون وشرّحوه ألواناً رقيقة جعلوها في النوافذ بدلاً عن الزجاج . فهذه الأماكن اذن هي التي تتحدث لنا عن العمارة عند الجاهليين .

وقد استعين في بناء بعض المدن بحجارة اقتلعت من مواضع بعيدة بعض البعد عنها في بعض الأحيان . فقد بنيت (قرنو) (معين) ، بحجارة جلبت من موضع يبعد عشرين كيلومتراً تقريباً من شمال (معين) ، من (جبل اللوذ) أو من جنوب (جبل يام) . ويرى بعض الباحثين احتمال جلب بعض الصخور اليها من مواضع تبعد ثمانين كيلومتراً من المدينة . وبعض هذه الأحجار ثقيل يبلغ طول الواحدة منها خمسة أمتار[1] . وجاءوا بـ (المرمر) الى (شبوة) من موضع (مداث) و (كلوة) على مسافة خمسين كيلومتراً من المدينة[2] .

وقد تبين من الدراسات العامة الأولية التي قام بها الباحثون لخرائب المدن الجاهلية أن بعضها قد بني على شكل مستطيل ، ويحيط به سور مستطيل الشكل أيضاً

---

١ محمد توفيق ، اثار معين (٧) ، Arabian. S. 140

٢ H. V. Wissmann, Geogr. Grundlagen, S. 78, Arabien, S. 140.

ذو أبراج ، وبعضها بني على شكل إهليلجي أو قريب منه ، وبعضها على شكل دائري . وقد أحيطت بأسوار لحمايتها من غزو الغزاة وللدفاع عن نفسها والثبات بوجه الأعداء . ولها أبواب تغلق ليلاً وتحرس حراسة شديدة حتى لا تفاجأ المدينة بعدو يأخذ على حين غرة ، كما تغلق وتسد سداً محكماً أيام الحروب .

ويظن أن تخطيط المدن على شكل مستطيل كان هو الشكل الغالب ، إذ وجد المنقبون أكثر خرائب المدن قد بني في الأصل على هذا النحو . فـ (مـأرب) بنيت على شكل مستطيل على رأي بعض من درس آثارها.وكذلك خربة (غربون) في جنوب (المشهد) بوادي (حجرين) بحضرموت . وذهب بعض من زارها إلى أنها كانت مربعة الشكل[1] . وعلى هذا النحو كانت (شبوة) و (حريب)[2] و (يلط) (يليط)[3] ، و (قرنو) التي هي معين في الجوف[4] .

ومن المدن التي بنيت على شكل إهليلجي تقريباً مدينة (حاز) (حيزم) . وهي محاطـة بسور يتراوح ارتفاعه من ستة أمتار إلى ثمانية أمتار ، تخترقه خمسة أبواب . وبنيت مدينـة (بيحان النقب) التي تقع على مسافة عشرة أميال الى الشمال من (بيحان) على شكل إهليلجي كذلك[5] .

وقد تبين أن أكثر المدن اليمانية القديمة قد بُني في بطون الأودية على مرتفعات طبيعية ، أو صناعية ،أي من عمل الإنسان . وقد يكون ذلك بسبب خصب الأودية وتوافر الماء فيها بسهولة ، بحفر الآبار أو من العيون أو بواسطة بنـاء السدود . غير أن هناك مدناً أقيمت على الهضاب والنجاد وعلى سفوح الجبال ، وذلك لتتمتع بحماية طبيعية وليكون من الصعب على الأعداء التغلب عليها . ومن المدن القديمـة التي أقيمت في بطون الأودية مدينة (قرنو) (القرن) (معين) ، فقد بنيت على تل أقامه المعينيون أنفسهم ارتفاعه خمسة عشر متراً ، عن سطح أرض الوادي، وذلك لحماية المدينة من طغيان ماء السيول في الوادي في موسم الأمطار[6] .

---

١ Arabien, S. 140, Von Wissmann-M. Höfner, Beiträge, S. 27, (245), Le Muséon, 61, 1948, p. 221.

٢ وتسمى بـ « الساحل » في هذا اليوم .

٣ وتسمى بخربة سعود في هذا اليوم .

٤ محمد توفيق ، اثار معين ، ٤ ، Arabien, S. 141.

٥ Rathjens — H. V. Wissmann, Vorislamische Altertümer, S. 101, 102, Arabien, S. 141.

٦ Arabien, S. 141.

وتحمي المدن حصون وقلاع ، وقد تقام الأسوار وعلى مسافة من المدينة لتشغل العدو وتمنعه من الدنو منها ، ثم لتحمي مزارع المدينة وأموالها ، وتكون أبنيتها حصينة ذات جدر سميكة فيها منافذ ترمى منها السهام ، وفي أعلاها أبراج يرمي منها الرماة الحجارة والسهام على المهاجمين. كما تبنى في المدن نفسها خلف الأسوار، لحماية داخل المدينة من العدوّ عند تغلّبه على الحصون والقلاع الخارجية ، وأسوار المدن . وبيوت الملوك والأشراف وسادات المدينة ، قلاع وحصون في حدّ ذاتها، فيها كل وسائل المقاومة والدفاع ومخازن لحفظ مواد الإعاشة ، وآبار .

ويكاد يكون لكل مدينة من المدن حصن يقيها ويحميها،وقد اشتهرت وعرفت به . فاحتمت (ظفار) مثلاً بحصنها (ذو ريدان) ، وأقيمت (شبام سخيم) عند حصن (عرّ ذو مرمر) ، و (شبام اقيان) عند (الوة) (كوكبان) ، و (بيحان) عند (ذي ريدان) ، و (برج اتوت) على (ميفع ظبيان)، وأنشئت (غيمان) على تلّ مرتفع يحمي المدينة من المهاجمين . وأقيم (ذو معاهر) ليحمي مدينة (وعلان) بـ (ردمان)[1] .

ويظهر من كتابات المسند ومن الآثار ان بعض مدن اليمن كانت مسورة ، يحيط بها سور للدفاع عنهـا . ويقال لمثـل هذه المدن (هجرن) في العربيات الجنوبية ، أي (المدن) . مثل (هجرن قرنو)[2] ، بمعنى المدينة (قرنو) وهي عاصمة معين . و (هجُرن مرب) ، أي المدينة مأرب ، و (هجرن نجرن) أي المدينة نجران ، المدينة الشهيرة عاصمة مخلاف نجران والتي لا يـزال اسمها حياً معروفاً في العربية السعودية في هذا اليوم .

وتختلف أطوال أسوار المدن وارتفاعاتها بحسب حجم المدن وبحسب مواقعها . فالمدن الكبيرة تكون أسوارها طويلة يتناسب طولها مع سعتها . والمدن التي تبنى فوق الجبال والهضاب والمحلات الحصينة تكون أسوارها أقل ارتفاعـاً من أسوار المدن المبنية في السهول . وقد وجد سور مدينة (قرنو) مستطيلاً ، وطوله زهاء أربع مئة متر ، وعرضه زهاء خمسين ومئتي متر ، وعلى كـل زاوية من زوايا هذا المستطيل الأربع برج لمراقبة الأعداء ولرميهم بالحجارة والسهام وبوسائل الدفاع

---

١ Arabien, S. 275.

٢ REP. EPIGR. Tome V, p. 124, NR. 2774.

الأخرى التي كانت ميسورة لهم[1] .

وقد وجدت أسس سور مدينة (حيزم) (حزم) ، وهي (حاز) ، مبنية بحجر بركاني ، أخذ من لاية قريبة من المكان[2] . على حين بنيت أسس أسوار المدن الأخرى وجدرها من أحجار تقع مقالعها على مقربة من المدن المسوّرة ، ليكون في الإمكان نقلها بسهولة الى مواضع البناء .

وغالب مدن العربية الجنوبية ، لها بابان متقابلان ، فإذا كان أحدهما في الجدار الشرقي للمدينة كان الثاني في الجدار الغربي . وقد وجد في بعض المدن أربعة أبواب أو خمسة . فـ (شبوة) عاصمة حضرموت كان لها خمسة أبواب ، يقع الباب الرئيسي في الجهة الشمالية من المدينة . وتؤدي الأبواب الى أفنية تكون متجمع الناس[3] ، تعلن على جدرانها الأوامر الحكومية ليقف عليها الغادي والرائح، ويعلن المعلنون فيها أوامر الحكومة ، كما ينادي الدلالون بما عندهم من خبر أو بضاعة . وتكون هذه الساحات أسواقاً كذلك ، ومواضع لتنفيذ أحكام القتل أو العقوبات الأخرى ليعتبر بها الناس . وهكذا نجد أن أبواب المدن كانت من أهم الأماكن العامة للمدينة في تلك الأيام .

وقد وجد بعض الأبواب ، وهي الأبواب الرئيسية ، محصناً من الجهتين ببناءين قويين ، للدفاع عن الباب ، فيهما منافذ ومواضع يرمي منها المدافعون من يريد اقتحام المدينة . وبين البناءين أو الحصنين باب قوي يغلق في الليل وعند وقوع خطر ما . ويؤدي هذا الباب الى ساحة تحيط بها غرف ومواضع لإيواء الجنود ، ثم تنتهي هذه الساحة بحائط قوي أو سور يخترقه باب آخر يغلق ويفتح ليؤدي الى المدينة . والغاية من وجود هذا الباب الثاني سدّ الطريق على الأعداء عند اقتحامهم الباب الاول وتغلبهم على الجواسيس ووصولهم الى الساحة التي يقيم فيها الجنود ، فيقابلهم عندئذ باب ثان يسدّ عليهم الطريق ولا يمكنهم من دخول المدينة إلاّ إذا تغلبوا على هذا الباب .

وقد عُني العرب الجنوبيون بزخرفة الأبواب وبزخرفة الإطار الذي ترتكز عليه،

---

١ Arabien, S. 143.

٢ Arabien, S. 140.

٣ R. A. B. Hamilton, Six Weeks in Shabwa, in Geogr. Jour., (1942), 100, 112, Arabien, S. 145, Philby, The Land of Sheba, Geogr. Jour., (1938), 92, 110.

والجدار الذي يضم الإطار ، والأعمدة التي تبنى على جانبي الباب أحياناً والبناءين المحكمين اللذين يبنيان عند طرفي أبواب المدن والقصور والمعابد لحراستها .

وتتصل شوارع المدن والقرى بهذه الساحات. والشوارع الرئيسية مبلطة في الغالب، ولا سيما الشوارع المؤدية الى قصور الملوك ودور الكبار والحكومة والمعابد،وتؤدي الى ساحات أمام هذه المواضع المهمة . ويكون تبليط الشوارع عندهم بتغطيتها بصخور عريضة مستطيلة أو مربعة نحتت بأطرافهـا بحيث يوضع طرف حجر فوق طرف الحجر الذي يليه ، فيظهران كأنهما حجر واحد ، أو بصقل أطراف الحجر صقلاً جيداً ووضعه بجانب حجر مصقول آخر ولصقها لصقاً تاماً ، حتى يبدوا كأنهما قطعة واحدة . ويظهر أنهم كانوا يعتنون عناية شديدة تامة بالتبليط . وقـد تبين من دراسة بعض قطع شوارع مدينة (غيمان) الباقية من أيام الجاهلية حتى اليوم أن أهل هذه المدينة لم يعتنوا بتبليط شوارعهم عناية أهل المدن الأخرى ، كما يتبين من طريقة رصف الحجر ومن وضعه بعضه الى بعض ومن دراسة المواد التي توضع تحت الأحجار وبينها[1] .

وللمدن حدود ، ما كان بعدها عُدّ تابعاً للمدينة ، وما كان خارجها عُـدّ منقطع الصلة بتلك المدينة . وقد ذهب (رودوكناكس) الى أن لفظة (اود) التي ترد في بعض الكتابات تعني (الحد) كما في هذه الجملة (اود هجرن) ، أي (حد المدينة)[2] . وعندي أن المراد بها (السدود) وكل شيء يقي شيئاً . فإن الأياد في العربية ما أيد به من شيء ، واياد كل شيء ما يقوى به من جانبيه ، والتراب يجعل حول الحوض والخباء يقوى به أو يمنع ماء المطر[3] . وعلى هذا فإن تفسير (اود) بسداد تحيط بمدينة أوفق في نظري من تفسيرها بـ (حد) وحدود .

والواقع أن من الصعب علينا في الزمن الحاضر أن نتحدث عن هنـدسة المدن وتخطيطها وعن طراز أبنيتها وارتفاعها ، وعن ساحاتها وأسواقها ، لقلة التنقيبات الأثرية العلمية واقتصارها على وجه الأرض وفي بقاع قليلة جداً من جزيرة العرب، وانعدامها من أكثر الأنحاء مع وجود آثار كثيرة فيها لا تزال مطمورة تحت الرمال.

---

١ Arabien, S. 147.

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 151.

٣ تاج العروس (٢/٢٩٣) ، (آد) .

ولو تهيأت للجزيرة بعثات أثرية على شاكلة البعثات التي تقصد العراق أو بلاد الشأم أو فلسطين أو مصر أو غيرها من أماكن ، لكان علمنا بأحوال المدن العربية الجاهلية وبأحوال الجاهليين غزيراً جديداً يختلف عن هذا النزر اليسير الذي نتحدث به عن أحوال العرب قبل الإسلام .

أما الحجاز ، فالظاهر أن الطائف منه ، كانت القرية أو المدينة الوحيدة المحاطة بجدار أو حائط ، يمكن أن نسميه سوراً . وكان يحيط بالمدينة وبه مواضع يتحصن فيها ، وفيها تحصنت ثقيف يوم قاومت الرسول في أثناء حصاره لها . وكانت له أبواب أغلقوها عليهم ، وامتنع على المسلمين عندئذ الدخول منها ، والاقتراب من الجدار . ولما اختفى المسلمون تحت دبابة ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ، أرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، وقتلوا رجالاً من المسلمين[1] . وأما مكة ، فيظهر من وصف أهل الأخبار لها أنها لم تكن مسوّرة . وإنما كانت ذات منافذ وطرق تؤدي الى داخل المدينة وتمر بالشعاب . وعلى كل شعب حماية حدّ شعبه من الأطراف عند دنو عدوّ من مكة . وأما المدينة ، فلم يكن لها سور كذلك . ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بقية قرى الحجاز .

ولا نجد في وصف أهل الأخبار لقرى أهل الحجاز وبيوتها ، ما يفيد بوجود أبنية ضخمة فيها على طراز أبنية اليمن . فلم يتحدث أهل الأخبار عن وجود قصور فيها تشبه (قصر غمدان) أو (قصر ذو ريدان) أو غير ذلك من القصور. حتى مكة وهي أم القرى لا يشير أهل الأخبار الى وجود بناء ضخم فيها على طراز أبنية اليمن ، ولا وجود بيت كبير فيها على طراز بيوت سراة اليمن . و (دار الندوة) ، وهي دار قصي ،مؤسس ملك قريش ، لم تكن داراً ضخمة ولا كبيرة على ما يظهر من روايات أهل الأخبار ويظهر أن أهل الأخبار لم يحفلوا كثيراً بالنواحي العمرانية من الجاهلية ، لذلك صارت معلوماتنا بسيطة جداً عنها من هذه الناحية . فلا نكاد نعرف شيئاً عن بيوت مكة أو غيرها قبل الإسلام .

وقد كانت بيوت المتمكنين من الناس وأصحاب اليسر والمال، مشيدة بالحجارة وباللبن . ويذكر علماء اللغة أن كل بيت مربع مسطح ، فهو (أجم) . ويظهر

---

١ الطبري (٣/٨٣ وما بعدها) .

من شعر ينسب الى امرىء القيس :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجماً إلا مشيداً بجندل[1]

أن آجام (تيماء) ، كانت مشيدة بالجندل . والجندل الحجر ، وقيل الصخور ، وذكر أنها الصخرة كرأس الإنسان[2] . وقد استعين بتشييد السقوف بجذوع النخل .

ويقال للآجام : القصور بلغة أهل الحجاز ؛ وعرفت بالآكام كذلك[3] ، وهي بمثابة الحصون ، يتحصن بهـا أوقات الخطر . والقصر عند العرب كل بناء من حجر ، وذكر أن اللفظة (قرشية)[4] . ووردت لفظة (قصر) و (قصور) في القرآن الكريم[5] . وقـد ذهب المفسرون الى أن معنى (مشيد) في الآية : (فكأيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصرٍ مشيد)[6] ، المجصص . والجص بالمدينة يسمى : المشيد[7]. فالقصر ، البناء الضخم المبني بالجص والحجارة ، وقد يكون منفرداً محصناً ، وقد يكون في قرية ، مع قصور أخرى ، ولكل قصر بئر ، يؤخذ منها الماء . وهي ضرورية جـداً بالنسبة لبيوت ذلك الوقت .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن البيوت أن في بيوت يثرب بيوت تكوّنت من طابقين . طابق أرضي وطابق علوي . وكانوا يسكنون الطابقـين . ولعلّهم كانوا يودعون ماشيتهم ودوابهم الطابق الأرضي ، أو مواضع خاصة بها ملحقـة بهذا الطابق . وكانت دار (أبو أيوب الأنصاري) التي نزل بهـا الرسول ذات طابقين نزل الرسول بطابق ، وسكن (أبو أيوب) بالطابق الثاني[8] .

وكان سادات القرى قد حلّوا مشكلة الدفاع عن أنفسهم وعن مواليهم ببنـاء

---

١ تاج العروس (٨/١٨٠) ، (أجم) ، اللسان (١٢/٨) .
٢ تاج العروس (٧/٢٦٦) ، (الجندل) .
٣ النهاية ، لابن الاثير (١/٧٨) .
٤ تاج العروس (٣/٤٩٤) ، (قصر) .
٥ الحج ، الاية ٤٥ ، الاعراف ، الاية ٧٤ ، الفرقان ، الاية ١٠ .
٦ الحج ، الآية ٤٥ .
٧ تفسير الطبري (١٧/١٢٧ وما بعدها) .
٨ الطبري (٢/٣٩٦) .

أبنية حصينة ذات جدران سميكة قالوا لها الحصون والآطام والواحد هو الأطم . فكان أهل المدينة من الأوس والخزرج يلجأون الى آطامهم وقت الخطر فيتحصنون بها ويمتنعون ، وكذلك كانت ليهود وادي القرى حصون وآطام . بها آبار ومواضع لخزن ذخيرتهم وما عندهم من غال وثمين ودخلوا حصونهم وآطامهم وأغلقوا عليهم الأبواب . وبذلك صارت القرية مجموعة حصون وآطام .

والأطم القصر وكل حصن بني بالحجارة . وقيل هو كل بيت مربع مسطح . وقد ورد أن (بلالاً الحبشي) كان يؤذن على أطم المدينة . وقد اشتهرت بها المدينة . وذكر أن الأطمة الحصن . وأن (الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد منـاة بن تميم) ، بنى أطماً باليمن ، عرف باسمه : (أطم الأضبط) . وكان قـد أغار على أهل صنعاء . وأشير في شعر (أوس) الى (آطام نجران) . حيث ذكر أن أحد الملوك بث الجنود في الأرض ، فأخذوا بقتل أعدائه ما بين بصرى وآطام نجران[1] .

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن قرى الحجاز ومدنها كانت شعاباً ، أي أحياءً . تكوّنت على الطريقة البدوية . وذلك بإقامة كل عشيرة في حيّ معين من أحياء القرية أو المدينة . وتكون بين الحي عصبية مثل عصبية أفراد القبيلة للقبيلة . وينتمي الحي الى القبيلة أو العشيرة التي يرجع اليها ، ويتعصب لها . ويشعر أن بين أفراد الحيّ قرابة ورابطة دم . ويعبر عن سكان الحي بـ (آل .....) . ويكون وجيه الشعب ، هو نقيبه وممثله وسيده .

وقد يقال للمنزل أو المحلة (الربع) والجمع (الرباع) . وذكر أن (الرباع) المنازل وجماعة الناس[2] . فتتألف كل قرية أو مدينة من رباع .

وقد كانت (الحيرة) على هذه الشاكلة أيضاً . فقد كانت مؤلفة من مواضع حصينة بناها سادات المدينـة وأشراف الأحياء ، عرفت عندهم بـ (القصور) والمفرد (قصر) . فإذا داهم المدينة خطر دخل أهل الحيّ قصر سيدهم وشريفهم وتحصنوا به .

---

١ تاج العروس (١٨٧/٨ وما بعدها) ، (أطم) .

٢ اللسان (١٠٢/٨) ، (صادر) (ربع) .

الأبراج :

وتؤلف الأبراج والحصون صفحة من صفحات كتاب الفن المعماري والحربي في التأريخ الجاهلي . فقد بنيت لتؤدي واجب الدفاع والحماية والوقوف بجبروت وتعنت في وجه من يريد الكيد بمن يحتمي وراء تلك الحصون . وطبيعي أن تراعي في تصميمها وبنائها الأغراض التي من أجلها شيدت وبنيت والمكان الذي تقام عليه .

ويراعى في جدران الحصون أن تكون سميكة وأن تبنى بمواد متماسكة تماسكاً شديداً حتى لا تنهار عند ضرب المهاجمين لها ومحاولتهم تهديمها لايجاد ثغر فيها يهجمون منها ، وتنشأ فيها مخازن لخزن الأسلحة ، ويُيَسَّر فيها الماء ومواد المعيشة التي يحتاج اليها المدافعون ، وتحدث منافذ في أعالي الأبراج لرمي المهاجمين منها . ويكون سمك الحائط عند القاعدة أكثر من سمكه في أعلاه . وأما الأبواب المؤدية الى الحصن ، فإن الطريق اليها لا يكون مستقيماً ممتداً ، بل يأخذ اتجاهات مختلفة، ويمر بممرات وقاعات،ليكون في امكان المدافعين الاحتماء بها حين يتمكن المهاجمون من اقتحام الباب الخارجي .

وتقام الأبراج فوق الأسوار والأبواب لحمايتها من المهاجمين . وتكون هندسة بنائها عندئذ متناسبة مع هندسة بناء السور أو أعلى الباب . وقد تنتهي بما يشبه الأسنان والأفاريز ، ليتمكن المدافع من إصابة المهاجمين بما عنده من مواد مؤذية فيمنعهم بذلك من اقتحام السور ومن إلحاق أي أذى به . وذكر علماء العربية أن (البرج) بيت يبنى على السور والحصن . وقد يسمى بيتاً . وذكروا أن برج الحصن ركنه[1] . ولم يذكر أولئك العلماء أصل الكلمة . وهو من الألفاظ المعربة عن اليونانية ، إذ هو Pirghos فيها . بمعنى (بناء) وبرج فوق بناء يدافع به المدافعون ولصدّ المهاجمين من التقدم نحوه[2] .

الطرق :

وتوجد آثار طرق جاهلية في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية مبلطة تبليطاً حسناً،

---

١ تاج العروس (٢/٧ ح ، (برج) ، الكشاف (٤/١٩٩) ، تفسير الطبري (٣٠/١٢٧ وما بعدها) .

٢ غرائب اللغة (٢٥٤) .

وأخرى ممهدة تمهيداً فنياً . وقد انشيء بعضها في أرض جبلية وفي أرضين وعرة، وذلك باستعمال آلات بمهارة في قطع الصخور لانشاء هذه الممرات . وأنشيء بعض آخر في الأودية وفي السهول برفق وعناية وقد كسيت ورصفت بالأحجار رصفاً متيناً قوياً كالذي يظهر من بقايا هذه الطرق التي لا تزال متماسكة شديدة ، تقاوم الأيام بالرغم من طول عمرها ومن عدم اهتمام الناس بها .

ومن الطرق الجاهلية التي وجدها السياح والباحثون ، طريق (مبلقة) (مبلقت)[1] في وادي بيحان . الذي يتراوح طوله من ثلاثة أميال إلى أربعة أميال ، ويرجع عهده الى حوالي السنة (٣٢٥) قبل الميلاد في تقدير بعض الباحثين[2] . وهو يؤدي الى (حريب) . وقد رصف وجهه وكسي بصفاح ضخم عريض . ونحت قسم منه طوله زهاء مئة قدم في الصخر نحتاً الى عمق ثلاثين قدماً ، وذلك اختصاراً للمسافة . وهو عمل يقدر بالنسبة الى ذلك الزمن[3] .

ومن هذه الطرق طريق مدرج عمله الجاهليون في المرتفعات المؤدية الى (وادي ذنه) على مقربة من مأرب . (مدرج نقيل) (نقيل مدرج) . وقد نحت في الصخر[4] وطريق آخر عرضه زهاء أربعة أمتار يقع شمال (معبر) ، وطريق آخر يؤدي من هضبة (عقبة) الى وادى عرمة ثم الى (شبوة)[5] . وطريق في جنوب حافة جبل اللوذ ، نحت نحتاً في الصخر حتى يؤدي بسالكيه من (خربة السود) الى (كعاب اللوذ)[6] . ونجد طرقاً نحتت في صخور المرتفعات والهضاب والجبال لتؤدي الى الحصون (العر) والمحافد والقصور والمدن مثل (عر ذو مرمر) و (عراتوت) (حصن أتوت) في أرحب ، و (قصر ريدان) (ذو ريدان) (جبل ريدان في بيحان)[7] . وأشير في النص : Glaser 824 الى طريق جبلي ،

---

١ (مبلقت) في الكتابات .

٢ Arabien, S. 146.

٣ G. Ryckmans, In Le Muséon, 62, (1949), Num : 399, p. 74, 77, Arabien, S. 146.

٤ Arabien, S. 146.

٥ المصدر نفسه .

٦ كذلك .

٧ كذلك .

عمل على جبل (جحاف) في هضبة (الضالع)[1] .

ومن الطرق الجبلية المسماة (منقل) في المسند[2] ، طريق في جبـــل (علمان) يؤدي الى (مأرب)[3] . وقد ذكر علماء اللغة أن (المنقل : الطريق في الجبل)[4]. وقد وصفـــه (هاملتون) ، الطريق القديم الذي ربط عدن بالداخل[5] . وهناك طريق معروف مشهور اشتهر باسم (درب الفيل) ، ينسب الى (التبع أسعـــد كامل) في حوالي السنة (٤٠٠) للميلاد ، ومنه بقايا بين (تربـة) ومواضع أخرى من أعالي اليمن[6] .

وقد وجدت شوارع المدن وطرقها مبلطة مرصوفة رصفاً حسناً في بعض الأحيان بحجارة وضع بعضها فوق بعض ، وربطت بينها مادة بناء مثـــل الجبس ، ذات قوة وتماسك كقوة (السمنت) وتماسكه حـــين يجف . وقد رصف بعض آخر بحجارة مربعة أو مستطيلة قدت من صخر ، وضع بعضها الى جانب بعض وضعاً محكماً بحيث بدت وكأنها حجر واحد،ورصف بعض آخر بحجارة هذبت أوجهها وصقلت وجعلت لها حواشي منخفضة ، وحواشي بارزة يكون سمكها سمك القسم المنخفض من الحواشي المنخفضة حـــتى توضع فوقها فتغطيها ، فتكون الأحجار متماسكة بذلك كقطعة واحدة[7] . وقد وجد بعض الطرق مكسوّاً بـ (الاسفلت) .

وقد ذكر علماء اللغة أن (البلق) الرخام ، وحجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج[8] . ولم يذكروا أن (مبلقة) بمعنى الطريق الممهد .

وقد تبين من فحص البقية الباقية من الطريق القريب من (غـيمان) ، وعهده أيام ما قبل الإسلام ، أن تبليطه ورصفه لم يكونا على جانب كبير من الدقـــة

---

١ Arabien, S. 147, G. U. R. Yule, A Rock-Cut Himyarite Inscription on Jabal Jehaf in the Aden Hinterland, in PSBA, 27, (1905), 153-155, D. H. Müller, The Himyaritic Inscription from Jabal Jehaf, PSBA, 28, (1906), 143.

٢ (نقيل) في اللغة اليمانية .

٣ CIH 418, Arabien, S. 147.

٤ اللسان ، (نقل) ، تاج العروس (١٤٣/٨) ، (نقل) .

٥ R. A. B. Hamilton, Archaeological Sites in the Western Aden Protectorate, GJ, 101, (1943), 113, Rathjens, Sabaeica, I, 94, 139.

٦ Arabien, S. 147, Philby, Arabian Highlands, 183, 259, 365.

٧ Arabien, S. 147, Rathjens, Sabaeica, I, 94, 139.

٨ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

والعناية . وهو بعرض أربعة أمتار تقريباً . ويؤدي الى (قصر غمدان) . وقد أقيم في موضع منه على سدّ ارتفاعه خمسة أمتار،وقد حفظ من الجانبين بجدارين[1] .

ويقال للطرق الضيقة التي يسلكها الإنسان للوصول الى أعلى البرج أو القلعة (محول) في اللهجة المعينية . وقد تكون مسقوفة ، وقد تكون بغير سقف ، كما تكون مدرجة أي ذات سلالم،وربما لا تكون كذلك ، وقد تؤدي الى ارتفاع، وقد تكون ممراً مستوياً يخترقه الإنسان كالدهليز[2] .

واتخذ الجاهليون القناطر ، والقنطرة لغة في الجسر[3] . ويراد بها القنطرة المعقودة المعروفة عند الناس . والعرب تسمي كل أزج قنطرة . وقد ورد ذكرها في شعر لطرفة بن العبد . وهي تعقد بالحجارة وتشاد بالجص أو بجياد وهو الكلس[4] . ويعبر عليها الناس ووسائط النقل وقد عثر على آثار قناطر في مواضع متعددة من جزيرة العرب،ولا سيما في اليمن وبقية العربية الجنوبية حيث تكثر الأودية والسيول .

وجاء في شعر لـ (طرفة بن العبد) ، هذا البيت :

كقنطرة الرومي اقسم ربّها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وقد ذكر (الزوزني) ، أن صاحب القنطرة وهو رومي ، حلف ليحاطن بها حتى ترفع أو تجصص بالصاروج أو بالآجر . وأن القرمد : الآجر ، وقيل هو الصاروج ، والشيد الرفع والطلي بالشيد وهو الجص . ولم يذكر الشارح موضع القنطرة المذكورة التي بناها صاحبها وهو رومي فنسبت اليه[5] .

أثاث البيوت :

وليست لدينا صور واضحة دقيقة عن بيوت أغنياء المدن ، وعن محتوياتها وعما فيها من أثاث وأدوات . غير أن بعضاً منها يجب أن يكون واسعاً كبيراً حوى

---

١ Rathjans, Sabaeica, I, 77, 141, Arabien, S. 147.

٢ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 31.

٣ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الثاني (ص ٣٣٣) .

٤ الكامل ، (٥٩/١) .

٥ شرح المعلقات (للزوزني) (دار صادر) (ص ٥٢) .

كل وسائل الراحـــة المتوفرة بالقياس الى ذلك العهد . فرجل مثل (عبد الله بن جُدْعان) كان ثرياً ثقيل الثراء ، يملك آنية من الذهب والفضة ، ويشرب بكؤوس غالية ، ويأكل أكلات غريبة ، ويتفنن في مأكله ، وقد استحضر لذلك طبّاخين من الخارج من العراق مثلاً ، ليطبخوا له طعاماً غريباً عجمياً ، أقول إن رجلاً مثل هذا لا بُدَّ أن يكون بيته بيتاً كبيراً يتناسب مع ثراء صاحبه وماله وقد بنى بناءً محكماً ، وأحصنت جدرانه وارتفعت حتى يكون في مستطاعه التحصن فيـــه وقت الخطر والمحافظة على نفسه من السراق والطامعين في ماله في الليل والنهار .

ولا بد أن يكون بيت عبدالله بن جُدْعان هذا قد بني من أجنحة متعددة ، جناح لسكناه مع نسائه ، وجناح لقيانه وخادماته وجناح لخدامه وعبيده ، وجناح لاستقبال أصحابه وندمائه وأصحاب الحاجات والأشغال ، فقد كان يجلس للأصدقاء يتسامر معهم ويسمع معهم غناء قيانه ، وعلى رأسهن (الجرادتان) ، وهما قينتاه المختارتان ، وكان لهما صوتان شجيان ، وقد اشتهرتا بمكة ، وخلد ذكرهما حتى الآن ، فلا يعقل أن يكون بيته صغيراً أو حقيراً أو بدائياً ، إذْ لا يتناسب ذلك مع ما يذكره أهل الأخبار ويروونه عن ثرائه وبذخه وعن شربه بآنية من ذهب وفضة ، الى غير ذلك مما يحملنا — لو صدقنا روايات الأخباريين — على أن بيته يجب أن يتناسب مع ثرائه .

وعـــاصر ابنَ جُدْعان نفر آخر كانوا من أغنياء مكة ومن أصحاب المال والثراء ، لهم ذوق في الجمال وحب للشراب . وكان لهم خدم وحشم ، ورجال من هذا الطراز لا بد أن تكون بيوتهم حسنة ومن حجارة ، وفيها وسائل الراحة ، ولها مواضع خاصة بإقامة النساء ، وأماكن خاصـــة باستقبال الضيوف ، ومواضع لإقامة الخدم والعبيد . والحيوانات التي يرتبطها للركوب ، وحجر لحفظ الأطعمة والأشربة بمقادير كافية احتمالاً لحالات الطوارىء .

وعرفت الزرابي ، وهي (الطنافس) ، في بيوت أثرياء الجاهليين وقصور الأمراء . وقد ذكرت (الزرابي) و (النمارق) في القرآن الكريم[1] . وورد أن الزرابي ضرب من الثياب محبر ، منسوب الى موضع[2] ، وذكرت (الزرابي) في شعر (حسان)[3] .

---

١ الغاشية ، الاية ١٦ .

٢ المفردات ، للاصفهاني (ص ٢١١) .

٣ ترى فوق أثناء الـــزرابي ساقـــطا نعـــالا وقسوبـــا وريطـــا معضـــدا
البرقوقي (ص ١٤٦) .

وعرف عند الجاهليين نوع خاص من الطنافس قيل له (الرحـــال) ، ذكر أنه من طنافس الحيرة . واليه أشار الأعشى بقوله :

ومصاب غـــادية كأن تجارها نشرت عليه برودها ورحالها[1]

وقد استعملت الكراسي والأسرة في بيوت الأغنياء . والكرسي السرير . وأما السرير ، فهو ما يجلس عليه وينام فوقه أيضاً . وقد عبر به عن الملك والنعمة[2]. والظاهر أن ذلك بسبب كونـــه من مظاهر الغنى والجاه . و (الخلب) الكرسي قوائمه من حديد[3] .

ويقال للمجلس (الموثب) في لغة (حمير) . ويراد بها أسفل الشيء وما يستقر على الأرض . وهي قريبة في المعنى من لفظة (شت) و (اشدو)[4] .

وقد استورد أهل مكة الأواني الغالية والأثاث الراقي من بلاد الشأم ، لما عرفت به هذه البلاد من التقدم في الصنعة وحسن الذوق ، ولقربها من الحجـــاز ، كما استوردوها من العراق . ويمكن معرفة أصولها والأماكن التي وردت منها بدراسة أسماءها . فأكثر أسماء الأشياء المستوردة ، هي أسماء معربة . عربت مـــن أصول أعجمية ، ويمكن الوقوف على أصلها بدراسة أصولها اللغوية التي جاءت منها .

وقد تبنى (دكك) عند باب البيت ، يجلس عليها الدرابنة ، أي (البوابون) ، لمنع الغرباء من الدخول داخل البيت ، ولحراسة الدار . وقد أشير اليهـا في شعر ينسب للمثقب العبدي :

فابقي باطلي والجد منهـــا كدكان الدرابنـــة المطين[5]

أما بيوت الفقراء ، فهي كما يظهر من روايات أهل الأخبار ، بيوت حقيرة إن جاز اطلاق لفظة (بيت) و (بيوت) عليها . وهي من طين ومن بيوت شعر ، لا تقي مـــن برد ولا من حر ، لذلك فإن الطبقة الفقيرة عاشت عيشة

---

١ تاج العروس (٧/٣٤٢) ، (رحل) .
٢ تاج العروس (٣/٢٦٤ وما بعدها) ، (سرر) .
٣ اللسان (١/٣٦٥) ، (خلب) .
٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 37.
٥ تاج العروس (٧/١٣٠) ، (دك) .

بؤس وشقاء . وليس في مثل هذه البيوت مرافق صحية ولا مغاسل ولا حمامات، فكان أصحابها يقضون حاجاتهم في خـارج البيوت . وإذا كان من السهل على الذكور أداء هذا الواجب ، فإن ذلك كان من أصعب الأشياء بالنسبة للأناث .

وسائل الركوب :

وكان السير على الأقدام للوصول الى المواضع المقصودة هو المألوف عند أكثر الناس ، بسبب فقرهم وعدم تمكنهم من امتلاك دابة ركوب . لقد كان أكثرهم يقطع مسافات طويلة مشياً على قدميه في ذهابه الى قبيلته أو للتنقـل من مكان الى مكان . أما المتمكنون منهم ، فقد ركبوا الجمال في قطع المسافات البعيدة والأرضين الصحراوية ، وركبوا الخيل والبغال والحمير في القرى وفي الأرضين التي لا تغلب عليها الطبيعة الصحراوية .

ولحماية النفس أثناء النوم من (البعوض) والحشرات الأخرى استعملوا (الكلل). و (الكلة) ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من الحشرات[1] . ومن هذه الحشرات والهوام : البعوض ، وأكثر ما يكون في بيوت الحضر ، حيث تتوفر له وسائل النمو والمعيشة ، من أوساخ ورطوبة وماء . وفي المواضع التي يكثر وجود المـاء بها ، مثل خيـبر ، حيث عرفت بكثرة بعوضها الحامل للبرداء (الملاريا) . و (الناموس) ، و (البرغوث) الذي يزعج الإنسان ويقلقه ، فلا يجعله يستريح في نومه ، ثم الذباب .

آداب المجالس :

وللقوم آداب في مجالسهم على الإنسان اتباعها ومراعاتها ، من ذلك أن لكـل بيت مهما كان حجمه أو مكانته حرمة . وأن على كل إنسان صيانة حرمة بيتـه وبيت غيره سواء بسواء . لأن بيوت الناس هي في الحرمة سواء . ومـن ينتهك حرمة بيت غيره يكون قد قام بإثم كبير وعرض نفسه لانتقام أهل البيت المنتهك

---

١ تاج العروس (١٠٢/٨) ، (كلل) .

منه . وقد يؤدي ذلك الى وقوع قتال بنداء العصبية وبتجمع أهل البيت للأخذ بثأرهم ممن ثلب حرمة بيتهم وتطاول عليه ، ودنس شرفه ، بالاساءة اليه . ولن تغفر الاساءة ولا يغسل عارها إلاّ بالانتقام وبالانتقاص من شأن ذلك الإنسان الذي انتهك حرمة بيت غيره .

ومن حرمة البيت عدم جواز دخوله إلاّ بإذن من صاحبه . فإن دخل اليه دون إذن ، عنف الداخل وأنب ، وان ثبت أنه دخله عن غاية وتصميم عدّ معتدياً عليه منتهكاً لحرمته . ويكون جزاءه الانتقام منه . وعلى من يريد دخول بيت الاستئذان من أصحابه حتى وإن كان البيت خيمة مهلهلة تذروها الرياح . لأن تلك الخيمة هي بيت ومأوى . ولا ينظر الناس الى نوع البيت والى جنسه بل الى أهله ، فالبيت بأهله لا بكيفيته،وحرمته من حرمة أصحابه .

وقد كان بعض الجاهليين يدخلون البيوت من غير استئذان ، ولا سيما الأعراب. ومنهم من كان يقف عند الباب فينادي : يا فلان اخرج ، أو يا فلان أأدخل. ونجد في كتب السير والأخبار أن من الأعراب من كان يقف أمام حجر النبي وينادي : أخرج يا محمد ؟ ولهذا شدد على (الاستئذان) وعلى السلام في الإسلام[1] .

ولا يخاطب الرجل الرجل الأكبر منه سناً أو منزلة باسمه ، وإنما يخاطبه بكنيته . كأن يقول يا أبا فلان ، وتكون الكنية باسم الابن الأكبر ، إلاّ إذا حدث ما يستوجب عدم ذكر اسمه . فيكنى بغيره ممن يختارهم ذلك الرجل . وقد لا يكون ولداً ، ولكنه يكنى مع ذلك بكنية يختارها هو ، أو تكون متعارفة عن الاسم بين الناس . ولا تزال عادة التكنية مستعملة عند الحضر وعند الأعراب . وقد عرف بعضهم الكنية بـ (اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبي حفص وأبي حسن ، أو علامة عليه) . وتقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب عرف بكنيته . وأبو فلان كنيته[2] .

التحية :

والعادة عند الجاهليين أن يحيي الصديق صديقه إذا رآه . والتحية : السلام .

---

١ ارشاد الساري (٩/١٣٠ ، ١٤٠) (باب الاستئذان) .
٢ تاج العروس (١٠/٣١٩) ، (كنى) .

ومن تحياتهم : حيّاك الله أو حياك .... ثم يذكر الصنم[1] . وإذا كان اللقاء صباحاً قالوا : أنعم صباحاً وعم صباحاً ، أما إذا كانوا جماعة فيقول عندئذ : أنعموا صباحاً ، وعموا صباحاً ، وإذا كان الوقت مساءً ، قال أنعم مساءً وعم مساءً وأنعموا مساءً إذا كانوا جماعة .

والمصافحة معروفة عند الجاهليين . وتكون باليد اليمنى . وقد يتصافحون باليدين[2] . وقد يتعانقون ، إذا كانوا قد جاؤوا من سفر أو من فراق[3] . وقد أشير في الحديث الى المصافحة باليدين عند اللقاء[4] .

وتكون إجابة الصغير للكبير بتلبية مؤدبة . فإذا سأل إنسان ذو منزلة إنساناً آخر أقل منزلة منه أجابه بجمل فيها أدب وتقدير مثل لبيك وسعديك[5] . أي لزوماً لطاعتك ، وأنا مقيم على طاعتك ، واجابة لك ، وأنا مقيم عندك، واتجاهي اليك وقصدي لك وما شاكل ذلك من معان ذكرها علماء اللغة . ومن هنا قيل لقول الحجاج في الحج : لبيك اللهم لبيك،التلبية[6] . ويجاب بـ (نعم) وبـ (نعم وكرامة) . وقد يكون الجواب لطلب عمل عملٍ . كأن يطلب رجل من رجل آخر عمل عملٍ ، فيقول له : (نعم) ، و (نعم وكرامة) ، و (نعم عين ونعمة عين) ، و (نعام عين) ، و (نعيم عين) ، و (نعام عين)[7] . وتعدّ لفظة (بلى) من ألفاظ الإجابة كذلك .

ومن آداب البيت الامتناع عن قول الفحش بحضور النساء . وعدم النظر بسوء الى البنات والنساء ، وعدم تركيز النظر عليهن . لأن معنى ذلك توجيه إهانة الى رب البيت ، واظهار أنه إنما قصد من دخول البيت التمتع برؤية النساء . وعليه السيطرة على نفسه وضبطها فلا يسمح لنفسه بإخراج الريح من جوفه ، لأن ذلك عند العرب عيب كبير . فالضراط والفساء إذا وقعا من إنسان بحضرة غرباء عدّا

---

١ تاج العروس (١٠/١٠٦ وما بعدها) ، (حيى) .
٢ ارشاد الساري (٩/١٥٤) ، اللسان (٢/٥١٤) .
٣ ارشاد الساري (٩/١٥٥) .
٤ تاج العروس (٢/١٨١) ، (صفح) .
٥ ارشاد الساري (٨/٢١٠) .
٦ تاج العروس (١/٤٦٥) ، (لبب) .
٧ تاج العروس (٩/٧٨) ، (نعم) .

من المغامز التي قد يؤاخذونها على الرجل. لا سيما إذا كان الرجل معروفاً مشهوراً وله حسّاد .

ومن عاداتهم : تشميت العاطس ، لا سيما إذا كان كبيراً ذا جـــاه . كأن يدعى له بطول العمر . وقد أكده الإسلام . فإذا عطس إنسان قال : الحمد لله فيجيبه الحضار بـ (يرحمك الله) . ويحمد العطاس عند العرب ، ما لم يكن من زكام ويذم التثاؤب[1] . وذكر أن كل دعاء بخير فهو تشميت[2] .

ويقال للشاب إذا سعل : عمراً وشباباً . أما إذا كان الساعل شيخاً أو رجلاً بغيضاً ، فيقال لهما : ورياً وقحاباً . وللحبيب إذا سعل : عمراً وشباباً[3] .

وكانت تحيتهم للملك أن يقولوا : أبيت اللعن . وإذا قـال أحدهم للآخر : أنعم صباحاً ، أو أنعم مساءً ، أو أنعم ظلاماً ، أجابه صاحبه : نعمتَ[4] .

ثقال الناس :

ومن الناس مَنْ يُستثقل ظلهم ويرجى انصرافهم بسرعة . لثقل طبعهم ووجود جفاوة فيهم ، أو تليد في طبعهم يجعلهم لا يدركون طباع الناس . ويقال لأمثال هؤلاء : الثقلاء . وثقال الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته ويستثقله الناس. يقال: مجالسة الثقيل تضني الروح . ويقال : هو ثقيل على جلسائه ، وما أنت إلاّ ثقيل الظل بارد النسيمْ .

ومن الثقلاء من يطيل الجلوس في المجالس : أو يدخلها دون دعوة،أو يتدخل فيما لا يعنيه أو فيما يجهله ليظهر علمه وفهمه . أو يزور صديقاً في وقت لا تستحب زيارة أحد فيه ، أو يعود مريضاً ثم يطيل الجلوس عنده . وكانوا إذا وجـــدوا من الثقيل بلادة ، فلربما أسمعوه كلاماً يشعر بتثاقلهم منه ، فإذا لم ينتبـه أشعروه بصور أخرى تفهمه أنه ثقيل الظل حتى يرحل عن المجلس .

---

١ ارشاد الساري (١٢٥/٩) ، (باب مشروعية تشميت العاطس) ، تاج العروس (١٩٢/٥) (عطس) .
٢ تاج العروس (٥٥٩/١) ، (شمت)
٣ تاج العروس (٤٢١/١ وما بعدها) .
٤ الحيوان (٣٢٨/١) ، (هارون) .
٥ تاج العروس (٢٤٥/٧) ، (ثقل) .

و (الظريف) على عكس (الثقيل) ، يستظرفه الناس ويستملحون كلامه ويحبّون مجالسته . وهو البليغ الجيد الكلام ، أو هو حسن الوجه والهيئة ، كما يكون في اللسان . وقيل الظرف : البزاعة وذكاء القلب . والبزاعة هي الظرافة والملاحة والكياسة[1] .

وقد يدعون بالشر على الأعداء والحساد والثقلاء ، فيقولون : رماه الله في الدوقعة ، أي في الفقر والذل[2] ، و (أخسّ الله حظه)[3] ، و (أبعد الله دار فلان ، وأوقد ناراً إثره). والمعنى لا رجعه الله ولا ردّه. و (أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً إثره)[4] .

الصلف :

وأما (الصلف) ، فالتمدح بما ليس عندك . وقيل مجاوزة قدر الظرف والبراعة فوق ذلك تكبراً . وفي الحديث:آفة الظرف الصلف. وهو الغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر[5] . وهو مكروه ويستثقل صاحبه ويقل أصحابه .

المجالس :

والعادة عندهم أنهم إذا زاروا ملكاً أو سيد قبيلة أو عظيماً ، لبسوا أحسن ما عندهم من لباس ، وتزينوا بأجمل زينة يعرفونها ومنها التكحل والترجيل ولبس جبب الحبرة المكففة بالحرير ،كالذي فعله سادات نجران[6] يوم وفدوا على الرسول . والتكحل عادة منتشرة عند جميع الجاهليين رجالاً ونساءً وفي كل جزيرة العرب . كما كانوا يتطيبون بالطيب والعطر[7] .

---

١ تاج العروس (١٨٧/٦) ، (ظرف) .
٢ تاج العروس (١٣١/٥) ، (دقع) .
٣ تاج العروس (١٣٨/٤) ، (خس) .
٤ اللسان (٤٦٦/٣) ، (وقد) .
٥ تاج العروس (١٦٧/٦) ، (صلف) .
٦ نهاية الارب (٨٧/١٨ وما بعدها) .
٧ نهاية الارب (٧٥/١٧) .

ومن آدابهم في مجالسهم قيام القاعد للقادم عند قدومه وتوجيهه التحيـــة لهم . ولا سيما إذا كان القادم شريفاً وله منزلة عنـــد قومه ومكانة . فيقف القوم على أرجلهم ويجيبون المحيي على تحيته بتحية هي خير منها ، هذه سنة كانت معروفة عندهم ، ولا تزال . وقد تطرق (الجـــاحظ) الى هذه القاعدة ، ثم قال : (قالوا : ومن الأعاجيب أن الحارث بن كعب لا يقوم لحزم ، وحزم لا تقوم لكندة ، وكندة لا تقوم للحارث بن كعب) . ثم قال : (قالوا : ومثل ذلك من الأعاجيب في الحارث : أن العرب لا تقوم للترك ، والترك لا تقوم للروم ، والروم لا تقوم للعرب)[1] .

وتفرش أرض سيـــد القبيلة وذوي اليسار من الناس ، وكذلك غرف بيوتهم بالفرش ، كالبسط ، وتوضع الوسد في صدر المجلس ليتكيء عليهـا الجالسون . وليتوسدوها عند النوم[2] . ويعـــدّ تقديم الوسادة الى الضيوف من اماراة التكريم والتقديس بالنسبة لمن قدمت له . ولا تزال هذه العادة متبعة عند الأعراب .

ويجلس العرب على الأرض وعلى الحصير والبساط . وقد يجلسون على وسادة وقد يستلقون ويضعون إحدى رجليهم على الأخرى ، وقد يتكئون على الوسادة ، وربما اتكأوا على اليمين وربما اتكأوا على اليسار[3] . والحصير سقيفة تصنع من بردى وأسل ثم يفترش . سمي بذلك لأنه يلي وجه الأرض . وتصنع الحصر من خوص السعف أيضاً ، وتفرش على الأرض . يستعملها أهل القرى والمـدن والأرياف ، وفي بيوت الفقراء . وذلك لعدم تمكن الفقير من شراء بساط منسوج ، ولا سرير يجلس عليه . قال شاعر :

فأضحى كالأمير على سرير وأمسى كالأسير على حصير[4]

وقد عدّ (السرير من امارات الغنى والرفاه والنعمة ، حتى عبروا عنه بالملك. فقالوا : (سرير الملك)[5] .

---

١ مناقب الترك ، من رسائل الجاحظ (١/٨١ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٢/٥٣٤) ، (وسد) .
٣ زاد المعاد (١/٤٣) .
٤ تاج العروس (٣/١٤٣ وما بعدها) ، (حصر) .
٥ ارشاد الساري (٩/١٦١) ، (باب حكم اتخاذ السرير) .

ويقال للحصير المنسوج من القصب (البارية) و (البوري) . وقد عرف أهل الحجاز (البارية) . وأشير اليها في الحديث[1] .

ويتناول الإنسان عند نهوضه من نومه (الصبوح) . ويحيي أهلـه ومن هو حوله بتحية الصباح : عم صباحاً وعموا صباحاً إذا كانوا جماعة . وهي تحيـة الجاهلية . و (الصبوح) كل ما أكل أو شرب من أكل أو لبن[2] . وهم يستحبون الجلوس من النوم صباحاً ، لأن ذلك عندهم أنشط للجسم وأدعى للصحة ، ثم إنّ الغارات تقع في الصباح ، وإذا أغاروا صاحوا : يا صباحاه! ينذرون الحي أجمع بالنداء العالي ، ويسمّون الغارة يوم الصباح . ولكن أكثرهم كانوا ينامون الصباح أي نوم الغداة ، ويسمون ذلك النوم (الضبحة) ولا ينهضون إلاّ متـأخرين أو بعد حيل وازعاج لهم ، لاكراههم على النهوض . وقد كره الإسلام هذه النومة، فجاء النهي عنها في حديث الرسول[3] .

تنظيف الأجسام :

ولتنظيف الجسم من الأوساخ والأدران استعملت الحمامات . وذلك عند الحضر بالطبع . أما حمامات البدوّ ، فهي بيوتهم والعراء ، يسكبون الماء على أجسامهم ويغتسلون . وقد عرف أهل القرى والمدن الحمامات ولها مساخن تسخن لهم المـاء ليغتسلوا بها . وكانوا يستعملون النورة في الحمامات لإزالة الشعر . وإذا خرج أحدهم من الحمام قيـل له : طابت حمتك[4] . وذكر أن من أسماء الحمام (الديماس) . وزعم بعضهم أن الديماس من الألفاظ المعربة . عربت من لغة الحبشة[5] .

وكانت الحمامات العامة قليلة العدد وربما لم تكن معروفة ، إذْ لم تكن شائعـة بين النـاس في الشرق الأدنى ، لأنهم كانوا يستحمون في بيوتهم في الغالب ، فجزيرة العرب حارة ومن الممكن الاغتسال في البيوت بكل سهولـة . ولم يعرف

---

١ تاج العروس (٣/٦٠ وما بعدها) ، (بور) .
٢ تاج العروس (٢/١٧٥) ، (صبح) .
٣ تاج العروس (٢/١٧٥) ، (صبح) ، (٥/١٧٦) ، (ضرط) .
٤ تاج العروس (٨/٢٦٠) ، (حم) ، المعرب ، للجواليقي (٣٤١) .
٥ تاج العروس (٤/١٥٤) ، (دمس) .

اليهود الحمامات العامة ، وإنما تعلّموها من الروم والرومان . وكانوا يستحمون في المياه الجارية وفي البيوت[1] . وقد ورد أن الرسول لم يدخل حماماً قط ، ولم يصح في الحمام حـديث[2] . مما يدل على أن الحمام العام لم يكن شائعاً في أيامه . فكان الرسول يغسل جسمه في بيته . وإذا وجد الحمام العام فلم يكن الأغنياء وذوو اليسار وأهل البيوت يقصدونه ، إذ كانوا يرون أن في تعري الرجل من ملابسه أمـام الغرباء زراية ومنقصة ، وأن في مخالطة الناس والاغتسال معهم في حمام ، مثلبـة ودلالة على نقص في البيت . فاستحموا في بيوتهم .

وقـد قام السدر في الحجاز مقام الصابون في الاغتسال ، فكانوا إذا أرادوا تنظيف أجسامهم استعملوا ورق السدر مع الماء ، فيخرج له رغاء ابيض ، وذلك بعد طحن الورق او دقه . وقد جرت العادة بغسل الميت به . وذكر ان الرسول امر قيس بن عاصم بأن يغتسل بالماء والسدر[3] .

وعندما تغتسل المرأة ، تغسل رأسها بالخطمي والطين الحرّ والأشنـان ونحوه . ثم تمشط شعرها . وقد تستعمل المرأة المتمكنة ورق الآس يطرى بأفاويه من الطيب لتمشيط شعرها به[4] .

ونظراً لقلة وجود الماء في البادية ، اقتصدوا في استعماله كثـيراً ، حتى أنهم لم يكونوا يشربون منه إلاّ قليلاً وعند الضرورة ، وذلك خوفاً من الإسراف فيه، فينفد ويهلكون عطشاً ، لذلك كان من الطبيعي بالنسبة لهم عـدم غسل اجسامهم حتى صار عدم الاستحمام بالماء شبه عادة لهم . وقد ادى ذلك الى توسخ اجسامهم وظهور رائحة الوسخ منهم . ورد في حديث (عائشة) : (كان الناس يسكنون العالية فيحضرون الجمعـة وبهم وسخ ، فإذا اصابهم الروح سطعت أرواحهم ، فيتأذى به الناس . فأمروا بالغسل)[5] . وكان منهم الفقراء من اهل الحضر كذلك، ممن لا يملكون بيتاً ولا يجدون لهم مكاناً يغسلون اجسادهم فيه . وكان من بينهم عدد من الصحابة الفقراء .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٣٨٨) . Hastings, p. 86.
٢ زاد المعاد (/٤٤) .
٣ الطبقات (٧/٣٦) .
٤ تاج العروس (٨/٤٥) ، (غسل) .
٥ تاج العروس (٢/١٤٨) ، (روح) .

وكانوا إذا ارادوا قضاء الحاجة دخلوا (الخلاء). وهو موضع قضاء الحاجة[1]. وتكون في بيوت الحضر. وقد تكون غرفة وقد تكون ستراً. ويستنجى بالماء إنْ وجد وبالحجارة. والنجو ما يخرج من البطن من ريح او غائط. وقيل العذرة نفسها. واستنجى مسح النجو او غسله[2]. وكانوا إذا ذهبوا في سفرهم للحاجة انطلقوا الى موضع يتوارون فيه عن أصحابهم، ليقضوا حاجتهم به. وربما تستروا بالهدف وبحشائش النخل وبشجر الوادي. ويقال للكنيف المشرف في أعلى السطح المتصل بقناة الى الأرض (الكرياس). أما إذا كان أسفل فليس بكرياس. وقد تكون للغرف (مراحيض)[3]. والكنيف المرحاض كأنه كنف في أستر النواحي[4].

وكانوا إذا أرادوا أن يبولوا ابتعدوا عن أصحابهم بعض الشيء ثم بالوا. وأكثر ما يبولون قعوداً. ولكنهم كانوا يبولون وقوفاً أيضاً، وهو في الأقل. وإذا أرادوا قضاء حاجتهم أو التبول لم يرفعوا ثوبهم بل جعلوه يتدلى حتى يدنو من الأرض، إلاّ من الأمام حيث يرتفع بعض الشيء، ويبعد من الخلف أو يرفع قليلاً حتى لا يتأذى بالعذرة[5].

ويرى العرب أن ما بين السُرّة والركبة من الرجل عورة، لذلك يجب ستره. والعورة السوأة من الرجل والمرأة[6]. وكانوا يرون ظهورها عاراً أي مذمة. لذا حرصوا على انزال ثيابهم الى الأرض لسترها قدر الامكان، وذلك عند قضاء الحاجة.

الخدم والخصيان:

وتحتاج البيوت الكبيرة الى خدم، لتحضير ما يحتاج البيت اليه من طعام وماء ولتنظيفه وللعناية بدوابه وبما يربط في مرابطه من حيوان. كما يوكل اليهم خدمة الضيوف وتقديم الشراب الى المتنادمين. وكانوا يستخدمون (الخصي) لخدمة أهل

---

١ تاج العروس (١٠/١٢٠)، (خلا).
٢ تاج العروس (١٠/٣٥٨)، (نجو).
٣ تاج العروس (٤/٢٣٢)، (كرس).
٤ تاج العروس (٦/٢٣٩)، (كنف).
٥ زاد المعاد (١/٤٣ وما بعدها).
٦ تاج العروس (٣/٤٢٩ وما بعدها).

البيت من النساء ، لأنهن محرم ، ولا تصح خدمة الرجال لمحارم البيت ، ونظراً الى ضرورة استخدام الرجال في بعض أمور البيت ، استعاضوا عنهم باستخدام (الخصي) في هذه الأمور . وقد كان (مأبور) القبطيّ الخصي ، الذي قدم مع (مارية القبطية) أم ولد الرسول من مصر يدخل عليها ويجلس في بيتها ، وكان خصيّاً[1] .

الحياة الليلية :

والحياة الليلية حياة هادئة على وتيرة واحدة ، يأوي الناس الى بيوتهم مع غروب الشمس في الغالب ، أما وجهاء القوم ، فقد كانوا يتسامرون في بيوتهم وفي مضاربهم ، وذلك بأن يأتي أصدقاؤهم اليهم فيتحدثون معهم ويتذاكرون الأيام الماضية وما يقع من أحداث الى ساعات من الليل ثم يعودون الى بيوتهم . ويكون السمر في الليل خاصة ، والسمر الظلمة . ولهذا كانوا يقسمون بالسمر والقمر . أي بالظلمة والقمر . ثم أطلق السمر على السمر عامة في الليل او في النهار[2] .

وقد صار هذا (السمر) أساساً للقصص العربي وللأدب العربي والتأريخ الجاهلي . وعلى الرغم من أن طابع السمر ، أي القص والتحدث والانصات الى المسامر ، لا يتفق مع الطابع التأريخي ، إلا أنه موّن المؤرخين مع ذلك بشيء من أخبار أيامها ورجالها في صورة من الصور المعروفة عن القص . والعادة أن الذين يبرزون ويظهرون في رواية القصص هم أصحاب الألسنة ، اللبقون الذين أوتوا مواهب خاصة ، والذين يجيدون معرفة نفسيات من يحيط بهم للاستماع الى قصصهم . فيحدثون السامعين اليهم بما سمعوه ممن تقدم عليهم أو من يعاصرهم من أخبار وحوادث مسلّية طريفة كان الجاهليون إذْ ذاك يتشوقون الى الاستماع اليها . ومن ذلك قصص الأيام والأبطال الشجعان الذين ساهموا فيها ، وقد يكون المتكلم نفسه ممن شهد الأيام وقاتل فيها . وهذا النوع من السمر ، لا يتقيد بالصدق وبالتعقل ، كما أن المستمعين لا يهمهم فيه إذا كان معقولاً أو غير معقول .

---

١ الاصابة (٣/٣١٥) ، (رقم ٧٥٨٣) .

٢ تاج العروس (٣/٢٧٧) ، (سمر) .

وكل ما يهمه منه هو التلذذ بسماع القصص أو الأشعار أو الأخبار وأمور الشجعان أو غير ذلك.ولما كان السمر يكون في كل بيت وفي كل مكان . وهو يتناسب مع عقلية القاص أو المتكلم وعقلية السامع وحالاته النفسية التي يكون عليها عند الإستماع الى السمر ، لهذا كان السمر ألواناً وأشكالاً ، منه ما يتناول أخبار العالم ، كما وصلت الى البادية ، ومنه ما يتناول أخبار الملوك وأخبار سادات القبائل،ومنه ما يتناول الشعر والمناسبات التي قيل الشعر فيها ، ومنها ما يتناول الجنّ والأساطير والخرافات وأمثال ذلك من غريب ، قد يبهر لبّ أذكى الناس ، ويلهب في السامعين نيران العواطف ، فيجعلهم يقبلون على الاستماع اليه بكل قلوبهم . على الاستماع الى هذا العنصر : عنصر التصنع في القصّ والإغراب ، لأن من طبع الإنسان البحث والتفتيش عن كل شيء غريب عجيب .

ويتخذ الملوك والأشراف وذوو اليسر لهم ندماء ، يشربون معهم ويقضون وقتهم بالمنادمة . وهم من المقربين الى الملوك ومن ضيوفهم الذين تكون لهم عندهم مكانة خاصة ، وكان من عادة أهل القرى ، اتخاذ الندماء ، والغالب أن المنادمة تكون على الشراب[1] . ونجد في أخبار (مكة) التي يذكرها أهل الأخبار ، أسماء جماعة من أشرافها ، اختصوا بمنادمة بعضهم بعضاً . يبقون في منادمتهم مدة طويلة وقد يقع سوء فهم بينها ، فيترك أحدهما منادمة صاحبه ، لينادم غيره .

ويجلس الملك أو سيد القبيلة في صدر المجلس ، ودونه بقية الجالسين على حسب المنازل والدرجات ، وقد عطّر نفسه ، وتطيب ، وتضمّخ بالعنبر وبالمسك . والظاهر أنهم كانوا يكثرون من وضع المسك على رؤوسهم حتى كان يبدو واضحاً جلياً من مفارقهم . وقد أشير الى هذه العادة في الشعر والأخبار[2] .

وكان من عادة سادة العرب استعمال الخلوق والطيب في الدعة وفي جلوسهم مجالس أنسهم ، مثل مجالس السماع والغناء[3] . وكان المتمكنون منهم وعلى رأسهم الملوك يضمخون أجسادهم ورؤوسهم بالطيب حتى كأنه يقطر منهم[4] . فكانت

---

١ تاج العروس (٩/٧٤) (ندم) ، اللسان (ندم) .

٢ الكامل (١/٣٦) ، العقد الفريد (٢/٢٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٢/٢٦٧) ، (ضمخ) .

٣ الروض الانف (٢/٦٧) .

٤ تاج العروس (٢/٢٦٧) ، (ضمخ) .

تفوح منها رائحة الطيب . فضلاً عن البخور الذي يتبخر به .

وقد كان الأغنياء والمتمكنون من الناس يشترون العطور ويكثرون من التطيب بها . وقد تباهى (كعب بن الأشرف) بأنه كان يملك أطيب العطور المعروفة عند العرب[1] .

وتكون ملابسهم بالطبع من أحسن الملابس ، من الديباج أو من الخز أو من الكتان ، وتوشى بالذهب ، وتقصب به . وقد تكون للملك دور خاصة بنسيجه ، تنسج فيها حلله وما يجود به على ضيوفه وزائريه . ولديه ملابس كثيرة حاضرة ، إذ طالما كان يخلع ملابسه التي يرتديها في المجلس ليعطيها الى حاضر مدحه فأجاد في مدحه ، أو لشخص قال كلاماً ظريفاً استحسنه ، ومن يناله هذا التكريم يفتخر به بين أقرانه ويتباهى ، فهي من المفاخر التي كان يتباهى بها في ذلك الزمان .

وعادة الخلع ، خلع الحلل والملابس التي يلبسها الملوك على السادة رؤساء القبائل والأشراف ، أمارة على التكريم والتقدير ، هي عادة معروفة في الجاهلية ، وطالما أثارت حسد الرؤساء وتباغضهم ، إذ عدّ خلع الملوك لملابسهم على السيد، تفضلاً له وتقديماً على غيره من السادة رؤساء القبائل . وكان لهذه الرسوم والعادات التي لا نعيرها اهتماماً في زماننا ولا نقيم لها وزناً،أهمية كبيرة في عرف ذلك العهد، وقد عرفت هذه العادة في الإسلام أيضاً . وقد كان المسلمون يتباهون بالحصول على خلع من الرسول ، يخلعها عليهم من ملابسه التي يلبسها ، فإن فيها تكريماً، وفيها بركة لمن خلعت عليه ، لأنها من ملابس الرسول .

وقد عرفت هذه الحلل والخلع بـ (أثواب الرضى) ، لأنهـا لا تعطي إلاّ تعبيراً عن رضى الملك عن الشخص الذي أعطيت له . وكان جباب أطواقها الذهب بقصب الزمرد . وقد أغدق (النعمان) بها على مادحيه . وكان يقول : « هكذا فليمدح الملوك»[2] .

وقد ذكر أهل الأخبار أن أولئك الملوك اتخذوا ندماء من الفرس والروم أيضاً، فذكروا مثلاً أن الملك النعمان كان له نديمـان ، يعرف أحدهما بـ (النطاسي) واسمه (سرجون) ، ويعرف الآخر بـ (توفيل) ، وكلاهما من الروم[3] . وورد

---

١ تاج العروس (٣/٤٠٩) ، (عطر) .
٢ نهاية الارب (٣ /١٧٧) .
٣ مجمع الامثال (٢/٤٩ وما بعدها) .

في رواية أخرى : أن أحد النديمين هو (سرجون بن توفل) ، (توفيل) ، وكان رجلاً من أهل الشأم تاجراً حريفاً للنعمان يبايعه ، وكان أديباً حسن الحديث والمنادمة : فاستخفه النعمان . وكان إذا أراد أن يخلو عن شرابه بعث اليه والى (النطاسي) ، وهو رومي كذلك متطبب ، وهو النديم الآخر له[1] ، وكان طبيباً بارعاً ، ضرب به المثل عند عن العرب لبراعته بالطب .

وفي منادمة النعمان للنطاسي ولابن توفيل ، أشير في بيت شعر للشاعر الربيع ابن زياد المعروف بالكامل ، وهو :

أبرقْ بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسي يوماً وابن توفيلا[2]

وممن ذكرهم أهل الأخبار من ندماء قريش عبد المطلب بن هاشم . كان نديماً لحرب بن أمية حتى تنافرا الى (نفيل بن عبد العزى) . فلما نفر عبد المطلب افترقا . ونادم حرب عبد اللهَ بن جُدْعان . ونادم حمزة عبد الله بن السائب المخزومي ، وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص نديماً للوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان معمر بن حبيب الجمحي نديماً لأمية بن خلف بن وهب بن حذافة . وكان عقبة بن أبي معيط نديماً لأبيّ بن خلف . وكان الأسود بن المطلب بن أسد نديماً للأسود بن عبد يغوث الزهري . وكانا من أعز قريش في الجاهلية وكانا يطوفان بالبيت متقلدين بسيفين سيفين . وكان أبو طالب نديماً لمسافر بن أبي عمرو ابن أمية . فمات مسافر . فنادم أبو طالب بعده عمرو بن عبد ودّ بن نضر . وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس نديماً لمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وكان أبو سفيان نديماً للعباس بن عبد المطلب . وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم نديماً لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . وكان زيد بن عمرو بن نفيل نديماً لورقة بن نوفل بن أسد . وكان شيبة بن ربيعة ابن عبد شمس نديماً لعثمان بن الحويرث . وكان العاص بن سعيد بن العاص نديماً للعاص بن هشام بن المغيرة . وكان يدعيان أحمقيْ قريش . وكان أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب نديماً للحارث بن عامر بن نوفل . وكان الوليد بن عتبة

---

١ الاغاني (٢٢/١٦) .
٢ الاغاني (٢٣/١٦) .

ابن ربيعة نديماً للعاص بن منبّه السهمي . وكان ضرار بن الخطّاب بن مرداس الفهري الشاعر نديماً لهبيرة بن أبي وهب المخزومي. وكان أبو جهل بن هشام، وهو عمرو بن هشام نديماً للحكم بن أبي العاص بن أمية . وكان الحارث بن هشام بن المغيرة نديماً لحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد. وكان العاص بن وائل بن هشام ابن سعيد بن سهم ، نديماً لهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبي جهل . وكان نبيه بن الحجاج بن عامر السهمي نديماً للنضر بن الحارث . وكان عمارة بن الوليد بن المغيرة نديماً لحنظلة بن أبي سفيان بن حرب . وكان الزبير بن عبد المطلب ، وهو من فتيان قريش ، نديماً لمالك بن عميلة بن السباق ابن عبد الدار. وكان الأرقم بن نضلة بن هاشم بن عبد مناف ، وهو من فتيان قريش أيضاً نديماً لسويد بن هرمي بن عامر الجمحي. وكان سويد أول من وضع الأرائك وسقى اللبن والعسل بمكة . وكان الحارث بن حرب بن أمية نديماً للحارث ابن عبد المطلب . فلما مات نادم العوّام بن خويلد بن أسد . وكان الحارث بن أسد بن عبد العُزّى نديماً لعبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار . وكان أبو البختري العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد نديماً لطلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار . وكان منبّه بن الحجاج السهمي نديماً لطعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وكان ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب نديماً لعمرو بن العاص بن وائل السهمي . وكان ابو امية بن المغيرة المخزومي نديماً لأبي وداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، وكانا يسقيان العسل بمكة بعد سويد بن هرمي . وكان أبو قيس بن عبد مناف نديماً لسفيان بن أمية بن عبد شمس . وكان ابو العاص ابن امية نديماً لقيس بن عدي بن سهم . وكان يأتي الخمّار وبيده مقرعة . فيعرض عليه خمره ، فإن كانت جيدة ، وإلاّ قال له : أجد خمرك ، ثم يقرع رأسه وينصرف[1] .

وقد يستدعي الملوك في مجالس أنسهم الخاصة من يضحكهم ويسلّيهم ويجلب لهم البهجة والسرور . من امثال القصاصين الذين يقصون لهم القصص، والمسامرون الذين يسامرون الملوك بأنواع قصص السمر والحكايات المضحكة الغريبة والأمور المثيرة ، والمضحكون الذين يأتون بالنكت وبالأفعال المضحكة لإضحاك الملك .

---

١ المحبر (ص ١٧٣ وما بعدها) .

وقد كان للملك (النعمان بن المنذر) مضحك اسمه (القرقرة) ، كان يضحك منه (النعمان) ، واسمـــه (سعد)[1] . والقرقرة : نوع من الضحك ، اختص بالضحك العالي منه . وقد أدخلوه في المستأكلين والمتطفلين . قالوا سأله أحـــد الأشخاص يوماً : مـــا رأيناك إلاّ وأنت تزيد شحماً وتقطر دماً . فقال : لأني لا آخذ ولا أعطي ، وأخطىء ولا ألام ، فأنا طول الدهر مسرور ضاحك[2] .

وقد جـــاء في شعر للشاعر (لبيد) وصف مجلس للنعمان ، وقد وقف فيه (الهبانيق) أي الوصفاء بأيديهم الأباريق ينتظرون إشارة من أحـــد جلساء النعمان ليصبوا له خمراً طيبة من خمور تلك الأباريق . فإذا طلب منهم ملء كأس ساروا الى الطالب سيراً فاتراً وبتؤدة ليملأوا له الكأس[3] .

وكانت لهم عادات وتقاليد في مجالس الشرب وفي مجالس الطعام على نحو مـا نفعل اليوم في المآدب الرسمية ، فكان من عـــادة ملوك الغساسنة والمناذرة إجلاس السادة الرؤساء والمقربين اليهم عـــلى يمينهم وعلى مقربة منهم ، تعظيماً لشأنهم ، ودلالة على مكانة الشخص عندهم . فإذا قدم الشراب أو الطعام ، قدم الى الملك أولاً ، فإذا شرب منه ، أو ذاقه ، أمر فقدم الشراب أو الطعام الى من هـــو في يمينه . وقد اتبعت هذه العادة عند سائر الناس في الولائم والدعوات . فكان (النعمان بن المنذر) مثلاً إذا همت الوفود التي تفد اليه بالانصراف ، أمر باتخاذ مجلس لهم ، يطعمون فيه معه ، ويشربون . وكان إذا وضع الشراب سقي النعمان، فمن بدأ به على أثره فهو أفضل الوفد . ويذكر أنه أقام مجلساً ذات يوم ضم فيه من وفود (ربيعة) (بسطام بن قيس) و (الحوفزان بن شريك) البكريّان. وفيمن قـــدم عليه من وفد (مضر) من قيس عيـــلان : (عامر بن مالك) و (عامر بن الطفيل) ، ومن تميم (قيس بن عاصم) و (الأقرع بن حابس)، فلما انتهوا الى النعمان أكرمهم وحباهم ، وأمر (القينة) أن تسقي (بسطـام بن قيس) ، المعروف بـ (ذي الجدين) أولاً ، ثم تسقي الآخرين . فانزعج بقية

---

١ اللسان (٨٩/٥) .
٢ الثعالبي ، ثمار (١٠٩) .
٣ المعاني الكبير (٤٦٦/١ وما بعدها) . قال لبيد :

والهبانيق قيـــام معهم كل محجوب اذا صب همل

ويروي كل ملثوم ، تاج العروس (٩٣/٧) ، (الهبنق) .

سادات الوفود من هذه المعاملة التي اعتبروها إهانة متعمدة ألحقت بهم[1] .

وإلى هذه العادة ، عـادة تقديم الأيمن ، أشير في شعر عمرو بن كلثوم في هذا البيت :

صَبَنْتِ الكأس عنّا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا[2]

و (الردف) ، هو الذي يجلس على يمين الملك في قصور الحيرة . فإذا شرب الملك ، شرب الردف قبل الناس . وإذا غزا الملك ، جلس الردف في مجلسه ، وخلفه على الناس حتى يرجع من غزاته . وله المرباع ، فهي منزلة كبيرة، ولهذا شرف بالجلوس على يمين الملك ، والشرب من بعده . وقد اتخذت هذه المنزلـة لإرضاء سادات القبائل واسكاتهم ، ومنعهم بذلك من التحرش بعرب الحيرة . وقد خصصت في (بني يربوع) ، وكانوا من القبائل القوية التي تكثر الغارات[3] .

وقـد تأثر رؤساء الحيرة وأصحاب الحل والعقد والجاه منهم ، والمتصلون بالحكومة الساسانية ، بالعادات والرسوم المتبعة عند الفرس ؛ فـإذا هم يحاكونهم في مآكلهم وفي مجالس شربهم وأنسهم ، وفي طريقة معيشتهم . جاء ذلك اليهم عن طريق اختلاطهم بهم بالطبع وشدة امتزاجهم بهم ، فنرى عديّ بن زيـد العبادي يذكر (النستق) في شعره .

وقد دخلت على الحسناء كلّتها بعد الهدوء تضيء البيت كالصَّنَم
ينصفها نستق تكـاد تكرمهم عن النصافـة كالغزلان في السلم

و (النستق) الخدم ، وهي من الألفاظ المعربة[4] . و (الكلّة) ، هي الستر الرقيق ، ولا تزال تعرف بهذه التسمية في العراق ، توضع فـوق الفراش وينـام تحتها ، فتكون كالقبة فوقها ، لتمنع البعوض والـذباب والحشرات الأخرى من الدخول الى داخلها ومن ازعاج النائم . وهي (كلتو) Kelto في لغة بني إرم[5] .

---

١ العمدة (٢/٢٢٠ وما بعدها) .
٢ بلوغ الارب (١/٣٩٤) ، تاج العروس (٩/٢٥٨) ، (صبن) .
٣ اللسان (٩/١١٦) .
٤ الجواليقي (ص ٣٤٣) ، تاج العروس (٧/٧٦) ، (النستق) .
٥ غرائب اللغة (ص ٢٠٤) .

وكان المتمكنون من أهل الجاهلية يستعملون (الكلل) للتخلص من البعوض . ينصبونها على سرير المنام وينامون تحتها[1] .

ولا بد في المجالس والأندية التي يقصدها الضيوف أو في البيوت من تكريم الرجل بتقديم طيب اليه أو تجميره . ويكون التجمير بمبخرة فيها نار ، يرمى عليها شيء من بخور أو مواد أخرى عطرة لتنبعث منها رائحة طيبة تتجه نحو الشخص المراد تكريمه ، فيتبخر بها . والتجمير علامة بالطبع من علامات التقدير والتكريم. وهي ما زالت معروفة ، وإن أخذت شأن كثير من العادات والتقاليد القديمة بالانقراض . وقد كانوا يجمرون الميت كذلك ، إكراماً له ، وهو تبخيره بالطيب. لتكون رائحته طيبة . ورد في الحديث : إذا أجمرتم الميت ، فجمروه ثلاثاً[2] .

ونظراً الى شح البادية وفقر الحياة وصعوبتها في تلك الأيام ، صار الملوك ملاذاً لذوي العسر والحاجات ، ولا سيما لأصحاب الألسنة من الشعراء الذين كان للسانهم خطر وأثر في نفوس المجتمع إذْ ذاك ، فللمديح قيمة وللهجاء أثر في الناس ينتقل بينهم من مكان الى مكان . فكان هؤلاء يتحايلون ويبحثون عن مختلف المناسبات للوصول الى الملوك لنيل عطائهم وألطافهم . وكانت مناسبات الشرب والأنس من خيرة المناسبات بالنسبة اليهم ، لجوّ السرور والمرح الذي كان يخيم فيه على الملوك، فيعطون ويجودون ولا يبالون بما يعطون إذا كان صاحب الحاجة لبقاً لطيفاً حلو المعشر ، يسيطر بلسانه على الملك ، وقد يجعله في عداد المقربين اليه .

ولما كانت الدنانير والدراهم ، قليلة إذْ ذاك ، صارت أعطية الملوك لسادات القبائل مالاً في الغالب ، والمال عندهم : الإبل . ويعطون الأكسية والأليسة والطعام لهم ولسواد الناس من الفقراء المحتاجين الذين يقفون عند أبواب الملك يلتمسون منهم الرحمة والشفقة والانقاذ من الجوع .

والجائزة العطيّة . فكان الملوك يجيزون من يطلب منهم الجوائز[3] ومنها : (القطوط) ، جمع (قط) ، وهي الصك بالجائزة والصحيفة للإنسان بصلة يوصل بها . قال الأعشى :

---

١ تاج العروس (٨/١٠٢) ، (كلل) .
٢ تاج العروس (٣/١٠٩) ، (جمر) .
٣ اللسان (٥/٣٢٧ وما بعدها) ، (صادر) ، (جوز) .

ولا الملك النعمان ، يوم لقيتـــه بغبطته ، يعطي القطوطَ ويأفق[1]

ولسادات القبائل أنديتهم أيضاً ، يقصدها أشراف القبيلة والناس . وكانوا إذا اجتمعوا تداولوا أمور قبيلتهم وما وقع بين القبائل ونظروا في أيامهم الماضية وقد يتناشدون الأشعار ويتفاخرون[2] . ويذكر علماء اللغة أن « النادي المجلس يندون اليه من حواليه ولا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله . وإذا تفرقوا لم يكن نادياً . وفي التنزيل العزيز : وتأتون في ناديكم المنكر . قيل كانوا يحذفون الناس في المجالس، فأعلم الله تعالى أن هذا من المنكر وأنه لا ينبغي أن يتعاشروا عليه ولا يجتمعوا على الهزء والتلهي وأن لا يجتمعوا إلاّ فيما قرب من الله وباعد من سخطه »[3] . وقد كان ملأ مكة إذا اجتمعوا في نواديهم تذاكروا أمور ساداتها فغض قوم من قوم، وسخر بعض من بعض وروى بعض عن بعض قصصاً للغض من شأنهم ، شأن المجتمعات الفارغة التي لا همّ فيها يلهي ولا عمل فيها يشغل . فكان هذا شأنهم حتى نزل التنديد بفعلهم في القرآن . كما نزل يندد في أمور أخرى كانت من هذا القبيل ، مثل (المشمعة) ، العبث والاستهزاء والضحك بالناس والتفكه بهم . (وفي الحديث : من تتبع المشمعة يشمع الله به ، أراد من كان شأنه العبث والاستهزاء والضحك بالناس والتفكه بهم جازاه الله جزاء ذلك . وقال الجوهري: أي من عبث بالناس أصاره الله الى حالة يعبث به فيها)[4] .

وقد لجأ العرب الى اتخاذ وسائل للتخفيف من شدة وطأة الحرّ عليهم . إذ أن الجوّ حار في بلاد العرب بالصيف . وفي جملة ما استخدموه : (المراوح). ورد أن الناس كانوا يستعملونها للترويح عن أنفسهم[5] . وللريح أهمية كبيرة في جزيرة العرب وفي البلاد الحارة . إذ أن وقوفه يزعج الناس ويؤذيهم ، فلا غرابة إذا ما اعتبروا الرياح رحمة تغيث الناس وتفرج عن كربهم . وتغنّوا بها وسرّوا بهبوبها سروراً كبيراً . بهبوب الرياح المنعشة المرطبة التي تحمل المزن لهم . فتصيب الأرض وتريها بما تحمله معها من مزن . ولريح الصبا،ذكريات طيبة عند العرب .

---

١ اللسان (٣٨٢/٧) ، (صادر) ، (قطط) .
٢ الاغاني (٥٢/٢) .
٣ تاج العروس (٣٦٣/١٠) ، (ندا) .
٤ تاج العروس (٤٠٣/٥) ، (شمع) .
٥ تاج العروس (١٥٢/٢) ، (روح) .

ولها أثر خالد في الشعر ، حتى أنهم كانوا يطعمون عند هبوبها . وهي ريح معروفة تقابل الدبور. سميت بذلك لأنها تستقبل البيت وكأنها تحن اليه . قال ابن الأعرابي مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش .. وتزعم العرب أن الدبور تزعج السحاب وتشخصه في الهواء ثم تسوقه ، فإذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا ، فوزعته بعضه على بعض حتى يصير كسفاً واحداً ، والجنوب تلحق روادفه به وتمده من المدد ، والشمال تمزق السحاب[1] .

ومن وسائل التلطيف من حدة الحرّ ، رش الأرض بالماء . أي نفح المكان بالماء[2] . ورش الحصر المنسوجة من جريد النخل أو من الحلفاء أو من غيرها بالماء ، حتى تبرد فينام الإنسان عليها ، أو تعليقها ونضحها بالماء . فيبرد الهواء الذي يمر من مساماتها بعض الشيء[3] . ورش ستر الكرباس والخيش بالماء ، ليبرد الهواء الذي يخترق مساماتها ، فينعش الجالس أمامها .

وكان الوجوه وأشراف البلد إذا أرادوا الإنشراح شربوا وسمعوا القيان ، وكان لأكثرهم قيان امتلكوها للترفيه عنهم بالغناء . و (القينة) الأمة المغنية أو أعم . يذكر علماء اللغة ، أن اللفظة من (التقين) التزين ، لأنها كانت تزين . وذكر أن القينة الأمة والجارية تخدم حسب[4] . و (المغنية)هي التي تغني للناس ، والتي اتخذت الغناء حرفة لها ، تعيش عليها .

ومنهم من يستدعي اليه أصحاب المجون والنوادر والفكاهات والملح للترفيه عنهم . وقد اشتهر بالمزاح رجل اسمه (نعيمان) وكان من أصحاب رسول الله البدريين[5] . والمجون ألاّ يبالي الإنسان بما صنع . والماجن عند العرب : الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ، ولا يمضه عذل عاذله ولا تقريع من يقرعه[6] ، ولا يبالي قولاً وفعلاً لقلة استحيائه[7] .

---

١ تاج العروس (١٠/٢٠٦) ، (صبا) .
٢ تاج العروس (٤/٣١٢) ، (رش) .
٣ تاج العروس (٣/١٤٤) ، (حصر) .
٤ تاج العروس (٩/٣١٦) ، (قان) .
٥ نهاية الارب (٤/٣) .
٦ اللسان (١٣/٤٠٠) ، (صادر) (مجن) .
٧ تاج العروس (٩/٣٤١) ، (مجن) .

والمزاح : الدعابة ، والمزح نقيض الجد[1] . وليس في طبع العربي ميل الى المزاح ، إذ يراه منقصة بحق الرجل واسفافاً يعرضه الى التهكم والازدراء به . وذكر بعض علماء اللغة أن الدعابة المزاح مع لعب[2] . وقيل يتكلم بما يستملح[3].

الخصومات :

ويقع النزاع بين الناس ، يقع بين الأهل كما يقع بين الجيران أو بين الأباعد. وقد يتحول الى (عراك) والى وقوع معارك[4] . والمشاجرة الخلاف والاشتباك . وقد تكون المشاجرة بسيطة بأن يشاتم ويسابب طرف طرفاً آخر . ويعبر عن ذلك باللحاء . ونظراً لجهل الناس في ذلك الوقت ، فشا السباب والتشاتم بينهم . بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء وبين الجنسين. وإذا طال واشتد تدخل الناس في الأمر لاصلاح ذات البين . وقد تتطور الخصومة البسيطة فتتحول الى خصومة كبيرة يساهم فيها آل المتخاصمين وأحياؤهم ، وقد يقع بسبب ذلك عدد من القتلى. وقد حفظت كتب الأخبار والأدب أسماء معارك وأيام ، سقط فيها عدد من القتلى بسبب خصومات تافهة ، كان بالامكان غض النظر عنها ، لو استعمل أحد الجانبين الحكمة والعقل في معالجة الحادث .

قتل الوقت :

وقد أشرت الى أن (النعمان بن المنذر) كان يستخدم المضحكين، وعلى رأسهم (سعد القرقرة) لإضحاكه . وقد عدّ في المستأكلين والمتطفلين . وقد استعان السادة والأشراف بالمضحكين أيضاً ليقصوا لهم القصص المضحك . والقرقرة الضحك إذا استغرب فيه . وقد لقب بها سعد هازل النعمان بن المنذر ملك الحيرة . كان يضحك منه[5] . وكان من أهل هجر[6] .

---

١ اللسان (٢/٥٩٣) ، (صادر) (مزح) ، تاج العروس (٢/٢٢٢) ، (مزح) .
٢ تاج العروس (٢/٤٠٧) ، (الكويت) ، (دعب) .
٣ تاج العروس (١/٢٤٧) ، (دعب) .
٤ الحيوان (٧/٩٦) ، (عداوات الناس) ، (هارون) .
٥ تاج العروس (٣/٤٨٨ وما بعدها) ، (قرر) .
٦ تاج العروس (٦/١٣٦) ، (سدف) .

والمخنثون مادة من مواد التسلية والفكاهة والطرب. وقد خصي بعضهم، وعادة الخصاء عادة قديمة معروفة عند مختلف الشعوب ، ذلك لأنهم كانوا يدخلون على النساء في البيوت ، فخصوا اتقاء حدوث اتصال بين هؤلاء والنساء . وكان في المدينة على عهد الرسول ثلاثة من المخنثين : هيت ، وهرم ، وماتع ، فسار المثل من بينهم بهيت ، فقيل : أخنث من هيت[1] . ومن المخنثين في الإسلام طويس ، ويقال له : إنه أول من غنى بالمدينة في الإسلام ، ونقر الدف المربع. وكان أخذ طرائف الغناء عن سبي فارس . وقد خصي مع غيره من المخنثين . وكان مألوفاً خليعاً يضحك كل ثكلى[2] .

وقد عير العرب بالخنث ، والخنث من فيه انخناث وتثن . وهو المسترخي . وهو جبان لا يطيق القتال. وتكون المرأة أشجع منه مع أنه رجل . ويقال للجمع (الخناث) . قال الشاعر :

لعمرك ما الخناث بنو قشير بنسوان يلدن ولا رجال[3]

والمحمقون مادة من مواد التسلية والترويح عن النفس. ومنهم من اتخذ التحمق وسيلة للوصول الى الملوك والسادات . ومنهم من كان محمقاً بطبعه . مثل هؤلاء يكونون وسيلة من وسائل السمر ، بما يظهر منهم طبعاً أو تصنعاً من حمق . وقد عرف (نعامة) ، واسمه (بيهس) ، بالتحمق ، فقيل (أحمق من بيهس). وهو من (بني ظالم بن فزارة)[4] . وذكر أنه أحد الأخوة السبعة الذين قتلوا وترك هو لحمقه . وهو القائل :

ألبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها واما بوسها[5]

واشتهرت بمكة امرأة عرفت بالحمق . قيل لها (خرقاء مكة) . ذكر أنها كانت إذا أبرمت غزلها نقضته. فاشتهر أمرها حتى ضرب بها المثل . واليها أشير

---

١ مجمع الامثال (١/٢٦٠) ، ارشاد الساري (١٠/٢٦ وما بعدها) .
٢ مجمع الامثال (١/٢٦٨ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (١/٦١٩ وما بعدها) ، خنث) .
٤ المعارف (ص ٣٧) ، (٨٣) ، (طبعة ثروت عكاشة) .
٥ تاج العروس (٩/٧٩) ، (نعم) .

في القرآن في قوله : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة)[1] . (وقيل المراد امرأة معينة من قريش : ريطة بنت سعد بن تيم . وكانت خرقاء . اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل اصبع . وهي الحديدة في رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها . وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن)[2] . وذكر أن تلك المرأه هي : (ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة) ، وكانت امرأة حمقاء بمكة ، وكانت تفعل ذلك[3] . والظاهر أن أهل مكة كانوا يتندرون بذكر حمقها ، فضرب القرآن بها المثل لتذكير قريش قومها بها ، لئلا يكونوا مثلها في الحمق .

وعرف الجاهليون لوناً آخر من ألوان الترويح عن النفس والترفيه عنها ، هو التنزه في البساتين وفي مواطن الكلأ والأماكن الجميلة من البادية في أيام الربيع حيث تكتسي ببسط من الخضرة ، وحيث تظهر الأزهار البرية ، ذات الروائح الزكية . فكان ملوك وأهل الحيرة يقضون أياماً في المتنزهات القريبة منهم وفي مواطن في البادية يروحون عن أنفسهن ويتلهون بالصيد . وكان أهل يثرب يخرجون الى (العقيق) متنزههم للتسلية[4] . وهكذا فعل غيرهم من سكان بلاد الشأم وجزيرة العرب .

ومن ملوك الحيرة الذين ارتبط اسمهم باسم الأزهار التي تجود بها البوادي أيام الربيع الملك (النعمان بن المنذر) . فقد قيل للشقائق التي تنبتها البادية ، مثل أرض النجف ، (شقائق النعمان) . قيل انها دعيت باسمه لأنه جاء الى موضع وقد اعتم نبته من أصفر وأحمر ، واذا فيه من هذه الشقائق ما راقه ولم ير مثله ، فحماها فسميت (شقائق النعمان) بذلك[5] .

وكان من عادة أهل مكة الذهاب الى الطائف في أيام القيظ ، للتخلص من حرّ مكة الشديد ، لطيب هواء الطائف واعتداله ، ولوجود الماء البارد بها الخارج من العيون والآبار . ولوجود مختلف الأثمار والخضرة بها . وقد كان لأغنياء مكة

---

١ سورة النحل ، ١٦ ، الاية ٩٢ ، تفسير الطبري (١١١/١٤) .
٢ تفسير النيسابوري ، حاشية على تفسير الطبري (١١٣/١٤) .
٣ الجامع لاحكام القرآن (١٧١/١٠) .
٤ الاغاني (١٦٧/٢) (طبعة الساسي) .
٥ تاج العروس (٣٩٨/٦) .

أملاك بها وبساتين استغلوها. ومنهم من كان يذهب الى بلاد الشأم للاتجار ولتمضية الصيف هناك .

وكان في جملة ما ابتكره الجاهليون لقطع الوقت (الاغلوطات) ، وهي صعاب المسائل ، فيطرح سائل ماسؤالاً عويصاً على المستمعين ، ويطلب منهم أن يعملوا فكرهم لحلّه ، وقد ورد في الأخبار أن الرسول نهى عن (الأغلوطات)[1] . وقيل (الغلوطات) . وهي الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به[2] .

وكان تناشد الشعر والتساجل فيه من جملة الأمور التي أمضوا أوقاتهم بها . فكان أحدهم يطارح صاحباً له أو جملة أصحاب له الشعر،وقد يجتمع الأصدقاء حولهم ليروا الفائز من المتبارين . والفائز هو من يبز غيره في الحفظ ، إذ يبقى يطارح أصحابه ما يحفظ حتى يعجزهم ، فيغلبهم ويكسب الفوز . وقد يكون ذلك برهن يعطى للغالب ، وقد يكون بغير رهن . والمساجلة المباراة والمفاخرة في الأصل ، بأن يصنع كل من المتبارين صنعه في شيء فمن بقي وبَزّ صاحبه غلبه. وهكذا تكون في الشعر ، فمن يثبت يكسب المساجلة[3] .

اللباس :

جاء في بعض الأخبار : « كل ما شئت والبس ما شئت »[4] . ولكن الشائع بين الناس « كل ما شئت والبس ما يشتهي الناس » ، ذلك لأن اللباس مظهر ، وعلى الانسان أن يظهر في خير مظهر أمام الناس . وقد ورد أن العرب تلبس لكل حالة لبوسها[5] . وينطبق ذلك على السراة وذوي اليسار والثراء بالطبع ، أما سواد الناس ، فلم يكن من السهل عليهم الحصول على اللباس . إذ كان غالياً مرتفع الثمن بالنسبة لأوضاعهم الاقتصادية . فكانوا يسترون أجسامهم بأسمال بالية وبكل ما يمكن أن يستر الجسم به .

وكسوة العرب ، تختلف وتتباين ، باختلاف الشخص وباختلاف الجماعة التي

---

١ العقد الفريد (٢/٢٢٥) ، تاج العروس (٥/١٩٣) ، (غلط) .
٢ اللسان (٧/٣٦٣) .
٣ تاج العروس (٧/٣٧٠) ، (سجل) .
٤ ارشاد الساري (٨/٤١٧) ، عيون الاخبار (١/٢٩٦) ، (باب اللباس) .
٥ اللسان (٦/٢٠٢ وما بعدها) .

ينتسب اليهـــا والمكان الذي يعيش فيه . فللأعراب ألبسة وذوق ، ولأهل المدر أذواق وأمزجة في اللباس ، تتباين فيما بينها ، بتباين المنزلة والمكانة والحرفـــة . ولذوي اليسار والثراء ألبسة فاخرة ، يستوردونها من الخارج في بعض الأحيان ، فيها أناقة وفيها تصنع ، وهي من المواد الغالية الثمينة في الغالب ، لا يتاح لغير الموسرين الحصول عليهـــا . ثم ان بعض الناس يفضلون لوناً يعافـــه بعض آخر ويتجنبه .

فكان الكاهن لا يلبس المصبغ ، والعراف لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه ، والحكم لا يفارق الوبر ، ولحرائر النساء زيّ ، ولكل مملوك زيّ ، يتساوى في في ذلك لباس الرأس ولباس البدن[1] .

وقد كان أثرياء مكة ويثرب والقرى والقبائل يلبسون الملابس الفاخرة المصنوعة من الحرير ودقيق الكتان والخز ، وغير ذلك من الثياب الغالية الرقيقة ، المستوردة من دور النسيج المعروفة في جزيرة العرب ومن خارجها ، ويلبسون النعال الجيدة ، مثل النعل الحضرمية المشهورة بمكة ، ويتعطرون بعطور غالية ثمينة[2] ، ويركبون الدواب الحسنة المطهمة مبالغة في التباهي والتظاهر .

وتختلف كسوة الرأس عند العرب باختلاف منزلة الرجل ومكانته ووضعه وحاله . و (العمامـــة) هي فخرهم وعزهم وأفخر ملبس يضعونه على رؤوسهم . حتى قيل : (عمم الرجل : سوّد لأن تيجان العرب العمائم ، فكما قيل في العجم توج من التاج ، قيل في العرب عمم) ، (والعرب تقول للرجل إذا سود : قـــد عمم ، وكانوا اذا سوّدوا رجـــلاً عمموه عمامة حمراء)[3] . وورد عن عمـــر قوله : « العمائم تيجان العرب[4] » . وهي تعدّ عادة من عادات العرب[5] . خاصة العرب أصحاب الجاه والمكانة والنفوذ من حضر وبادية ، فانها تميزهم عن بقية الناس .

وقد جاء في الخبر : (ان العمائم تيجان العرب) . (وكان يقال : اختصت

---

١ بلوغ الارب (٣/٤٠٦ وما بعدها) .
٢ طبقات ابن سعد (٣/١١٦) (طبعة صادر) .
٣ اللسان (١٢/٤٢٥) (صادر) .
٤ البيان والتبيين (٢/٨٨) .
٥ بلوغ الارب (٣/٤١٠) ، اللسان (١٢/٤٢٤ وما بعدها) .

العرب من بين الأمم بأربع : العمائم تيجانها ، والدروع حيطانها ، والسيوف سياجانها ، والشعر ديوانها)[1] .

وتعدّ العمامة من لبس الطبقة العالية والمترفة ، وذلك لأن الطبقة الفقيرة والعامة لم تكن تتمكن من اقتنائها ، وانما تضع على رأسها أغطية أخرى ، أخف وزناً وثمناً من العمامة ، ولذلك كانوا اذا أرادوا التعبير عن رخاء شخص ، قالوا : (أرخى عمامته : أمن وترفه ، لأن الرجل انما يرخي عمامته عند الرخاء)[2] . وجاء في الحديث : انه كان يتعوذ من الحور بعد الكور ، أي من النقصان بعد الزيادة . وهو من تكوير العمامة ، لأن الكور تكوير العمامة ، والحور نقضها ، وتكوير العمامة دلالة على الرخاء وحسن الحال ،والحور يعني تغير الحال كما ينتقض كور العمامة بعد الشد[3] . ففي تكوير العمائم ، دلالة على النعمة والرخاء . إذ لم يكن في وسع الفقير شراء قماش يعمم به رأسه على سنّة الأغنياء . فكيف به يعمم رأسه بعمامة كبيرة .

ولم يكن تكوير العمامة العلامة الوحيدة الدالة على الغنى والجاه ،بل كان الإسراف في اطالة الردن والذيل في الثوب من علائم الغنى والجاه أيضاً . فقد كان السادات والأغنياء يطيلون الأردان وأذيال الثياب ، حتى تصير تلامس الأرض ، للتعبير عن غناهم وكثرة مالهم وانهم لا يبالون بالمال ولا بالثياب فيتركونها تجر الأرض وراءهم من سعة عيشهم . بينما لم يكن في وسع الفقير اكساء جسمه حتى بالأسملة .

وللعمامة منزلة كبيرة عند العرب . فهي تعبر عن شرف الرجل وعن مكانته ، فإذا اعتدي عليها أو أهينت ، لحق الذل بصاحبها ، وطالب بإنصافه وبأخذ حقه. وإذا أهين شخص أو شعر بإهانة لحقت به ، ألقى بعمامته على الأرض ، ونادى بوجوب انصافه . ويعدّ اللوذ بعمامة رجل ، وذكرها من موجبات الوفاء والانصاف لمن لاذ بها . (واذا قالوا سيد معمم ، فإنما يريدون أن كل جناية يجتنيها الجاني في تلك العشيرة ، فهي معصوبة برأسه)[4] . كما يريدون بذلك السيادة لأن تيجان العرب العمائم ، فكما قيل في العجم توج من التاج قيل في العرب عمم . وكانوا

---

١ الثعالبي ، ثمار القلوب (١٥٩) .
٢ اللسان (١٢/٤٢٥) .
٣ اللسان (٥/١٥٥ وما بعدها) ، (صادر) ، (كور) .
٤ بلوغ الارب (٣/٤٠٩) ، البيان والتبيين (٣/٥٢) .

إذا سودوا رجـلاً عمموه عمامة حمراء . وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال له المتوج [1] .

ويدلّ سيماء العمامة على مكانة حاملها ، فلقماش العمامة وللونها ولشكلها العام ، أي كيفية تكويرها ، دلالة على مكانة صاحبها ومنزلته في المجتمع . فعمامة المترفين المتمكنين هـي من أفخر القماش ، نسجت بعناية ، منها عمائم الديباج والخز ، وذكر أن العمائم المهراة ، وهي الصفرة ، هي لباس سادة العرب [2] . وأن بعض السادة مثل (الزبرقان بن بدر) كانوا يصبغون عمائمهم بصفرة ، ويعصفرونها بالعصفر والى ذلك أشار الشاعر بقوله :

وأشهد من عوف حُلولاً كثيرة يحُجّون سبّ الزبرقان المعصفرا

والسب : العمامة [3] .

وورد في الحديث (كانت عمائم العرب محنكة) أي طرف منها تحت الحنك [4] . وقد جرت عادة العرب بإرخاء العذبات ، وقد يزيدون في ذلك دلالة على الوجاهة والغنى [5] .

ويذكر علماء اللغة أن (من أسماء العمامة : العصابة ، والمقطعة ، والمعجر ، والمشوذ ، والكوارة) [6] . وقيل إن العصابة والعمامة سواء [7] .

وقد كان السادات يتفننون في لبس العمامة وفي اختيار ألوانها ، فكانوا يختارون لكل مناسبة لوناً ، فكان بعضهم إذا قاتل لبس عمامة حمراء ، ولبس بعضهم عمامة صفراء أو سوداء . يتبع ذلك مزاج لابسها وعمره ، ونُظر اليها على انها جمال الرجل ، ومظهره الذي يظهر به . ورد ان عـلي بن أبي طالب كان يقول :

---

١ تاج العروس (٨/٤١٠) ، (عم) .
٢ بلوغ الارب (٣/٤٠٨) ، فقه اللغة ، للثعالبي ، (٢٤٢) ، (مطرف خز وعمامـة خز وجبة خز) ، الطبقات ، لابن سعد (٧/٣٧) .
٣ بلوغ الارب (٢/٤٠٨) ، شرح ديوان حسان (ص ٢٤٥) (للبرقوقي) ، تـاج العروس (١/٢٩٢) ، (سب) .
٤ بلوغ الارب (٣/٤٠٨) .
٥ ارشاد الساري (٨/٤٢٠) .
٦ بلوغ الارب (٣/٤٠٨) .
٧ البيان والتبيين (٣/٩٥) .

جمال الرجل في عمته ، وجمال المرأة في خفها [1] .

وفي الأمثال : (أجمل من ذي عمامة) ، وهو مثل من أمثال مكة ، قيل: انهم قالوه لسعيد بن العاص بن أمية ، المعروف عندهم بـ (ذي العمامة) . وكان في الجاهلية إذا لبس عمامة ، لا تلبس قريش عمامة على لونها . وقيل : انه كناية عن السيادة . وذلك لأن العرب تقول : فلان معمم ، يريدون ان كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة والعشيرة ، فهي معصوبة برأسه . والى مثل هذا ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص ، ذا العمامة ، وذا العصابة [2] .

وربما جعلوا العمامة لواءً ، فينزع سيد القوم عمامته ، ويعقدها لواءً ، وفي ذلك معنى التقدير والاحترام ، لأنها عمامة سيد القوم ، وربما شدوا بها أوساطهم عند التعب والمجهدة [3] .

وما يكون تحت الحنك من العمامة هو (الحنكة) . أما ما أرسل منها على الظهر فهو الذؤابة . وأما (القفدة) فأعلى العمامة . والعمة العجراء ، هي العمة الضخمة . وفي العمامة الكور ، وهي الطرائق التي يعصب بها الرأس [4] .

ولطريقة شد العمامة ووضعها على الرأس أسماء ، وضعت لكل شدة أو طريقة من طرق وضعها فوق الرأس . ويختلف حجم العمامة وألوانها باختلاف العمر أيضاً . فللشباب عمائم تميزهم عن الكهول والشيوخ . كما يختلفون عنهم في اختيار ألوان الألبسة . وذكر ان الرسول كانت له عمامة تسمى السحاب ، وكان يلبسها ويلبس تحتها (قلنسوة) . وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة . وكان اذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه . ولما دخل مكة ،دخلها وعليه عمامة سوداء [5] .

ووضعت القلنسوة على الرأس كذلك ، فورد أن خالد بن الوليد كان يضع قلنسوة على رأسه [6] . وقد لبسها الرسول . وكانت معروفة عند الجاهليين وأشير اليها في الشعر . ولفظة (قلنسوة) من الألفاظ المعربة عن (اللاتينية) . عربت من Calantica . ويراد بها ضرب من ملابس الرأس [7] .

---

١ البيان والتبيين (٢/٨٨) .
٢ مجمع الامثال (١/١٩٧) .
٣ البيان (٣/١٠٥) ، بلوغ الارب (٣/٤١٢) .
٤ بلوغ الارب (٣/٤١٢) .
٥ زاد المعاد (١/٣٤ وما بعدها) ، (فصل في ملابسه) .
٦ الاغاني (١٥/١٢) .
٧ غرائب اللغة (٢٧٩) .

وقد كان الجاهليون يوفقون أيضاً بين نوع ملابسهم ، فكانوا يلبسون مثلاً عمامة خز مع جبة خز ومطرف خز[1] . وذلك للتناسق في اللباس .

وجعلوا العمامة شعاراً للعرب ورمزاً لهم ، إذا زال زالت عروبتهم . (قال غيلان بن خرشة للأحنف : يا أبا بحر . ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدّوا العمائم ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد)[2]. وورد (في الخبر ، إن العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوها وضع الله عزهم). وقيل اختصت العرب : بالعمائم تيجانها ، وبالدروع وبالسيوف وبالشعر[3] .

وعرفت (المساتق) في الحجاز . وهي فِراء طوال الأكمام ، واحدتها (مستقة). وذكر الجواليقي أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأنها (مشته) في لغة الفرس . وروي أن الرسول كان يصلّي وعليه مستقة ، وأن مستقته من سندس مبطنة بالحرير ، أهديت اليه[4] . ذكر أن ملك الروم أهداها اليه[5] .

وأما الجبّة ، فهي من البسة الموسرين كذلك ، لأنها غالية ، تكون من خز ، وتكون من ديباج ومن أقمشة أخرى . وقد ذكر أن الأكيدر أهدى الى الرسول جبّة من ديباج منسوج فيها الذهب[6] . وقد تكون واسعة الكمين ، كما تكون ضيقتها . وقد لبس الرسول في السفر جبة ضيقة الكمين[7] . وذكر أنه قد كانت عند (أسماء بنت أبي بكر) جبّة لرسول الله ، (طيالسية خسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج . فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت ، فلما قبضت قبضتها ، وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يلبسها ، فنحن نغسلها للمريض نستشفي بها)[8] .

وتعدّ الجبب من مقطعات الثياب . فقد اصطلح علماء اللغة على تقسيم الثياب الى مقطعات وغير مقطعات . والمقطع من الثياب كل ما يفصّلُ ويخاط من قميص

---

١ الطبقات (٢٣/٧) .
٢ بلوغ الارب (٤٠٩/٣) .
٣ الثعالبي ، ثمار (١٥٩) .
٤ الجواليقي (ص ٣٠٨) .
٥ زاد المعاد (٣٥/١) .
٦ الطبقات (٢٣/٧) ، الاصابة (١٢٦/١) .
٧ زاد المعاد (٣٥/١) .
٨ زاد المعاد (٣٥/١) ، مسند ابن حنبل (٣٠٧/٤) .

وجباب وسراويلات وغيرها ، وما لا يقطع منها كالأردية والأزر والمطـــارف ، والريّاط التي لم تقطع ، وإنما يتعطف بها مرة ويتلفّع بها أخرى[1] .

والجبب مثل سائر الثياب ، لا تكون بلون واحد . فقد تكون بيضاء ، وقد تكون سوداء ، وقد تكون حمراء ، وقد تكون خضراء ، ويختـــار لابسها اللون الذي يلفت نظره . وقد تكون له جملة جبب بألوان مختلفة ، يلبس صاحبهـــا الجبة التي يلائم لونها المناسبة والمكان الذي يذهب اليه .

و (البرنس)[2] : قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، ملتصق به ، درّاعة كان أو جبة ، أو ممطراً . وكان النساك يلبسونهـــا في صدر الاسلام[3] . واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية ، عربت من أصل (فيروس) Virros ، بمعنى ثوب عريض الكمين ، غطاء الرأس ملتصق به ، أي هو جزء منه. ويلبس عندهم فوق الثياب[4] .

و (القميص) من الثياب المقطعة . ذكر بعض علماء اللغة انه لا يكون إلا من قطن أو كتان ، وأما من الصوف فلا . والظاهـر انهم خصصوه بالقطن أو الكتان للغالب[5] . وذكر ان الرسول لبس قميصاً من قطن ، وكان قصير الطول، قصير الكمّين . والظاهر ان هذه الصفة كانت هي الصفة الغالبة على القمصان ، ثم طولت فيما بعد ووسعت أكمامها[6] .

و (الخميصة) من الألبسة القديمة . وهي ثياب من خزّ ثخان سود وحمر ولها أعلام ثخان أيضاً . وذكر أن الخميصة كساء أسود مربع له علمان ، فإن لم يكن معلماً ، فليس بخميصة . وذكر أنها قد تكون من خزّ أو صوف . والظاهر أنهم كانوا لا يسمون الخميصة خميصة ، إلاّ إذا كانت ذات أعلام . وهي من ألبسة الموسرين[7] .

و (الرداء) ، الوشاح ، ويقع على المنكبين ومجتمع العنق[8] . وهو مـــا يشمر

---

١ اللسان (٨/٢٨٣) ، (قطع) ، تاج العروس (١/١٧٢) ، (جيب) .
٢ بالضم .
٣ اللسان (٦/٢٦) ، (برنس) ، تاج العروس (٤/١٠٨) ، (البرنس) .
٤ غرائب اللغة (٢٥٥) .
٥ تاج العروس (٤/٤٢٨) ، (قمص) .
٦ زاد المعاد (١/٣٤) ، ابن سعد ، الطبقات (٣/قسم ١ ص ١٧) .
٧ تاج العروس (٤/٣٩٠) ، (خمص) .
٨ تاج العروس (١٠/١٤٨) ، (ردى) .

على النصف الأعلى من الجسم لتغطيته ، ويكون من قطعة واحـــدة من القماش ، يلف على هذا النصف . قد يكون طويلاً واسعاً ، وقد يكون قصيراً . وقـــد يلف على الجسم رأساً ، وهو الغالب ، وقد يلف فوق ألبسة أخرى .

و (الازار) الملحفة ، وما يستر أسفل البدن ، والرداء ما يستر به أعلاه ، وكلاهما غير مخيط . وقيل الازار ما تحت العاتق والظهر . ولا يكون مخيطـــاً . فهو قطعة قماش ، يلف به القسم الأسفل من البدن لستره[1] . يختلف طوله وعرضه حسب رغبة لابسه . ويلبس الإزار مع الرداء في الغالب ، وقد تلبس معه ألبسة أخرى .

و (النمرة) شمله فيها خطوط بيض وسود ، وبردة مخططة من صوف تلبسها الأعراب . وذكر أن كل شملة مخططة من مآزر الأعراب ، فهي نمرة . وجمعها أنمار ونمار . كأنها أخذت من لون النمر ، لما فيها من السواد والبياض . وقـد لبس النبي النمار . وورد : نبطي في حبوته ، أعرابي في نمرته أسد في تامورته[2].

والمطرف : رداء من خز مربع ، له أعلام . وهو من الأرديـــة التي يلبسها الأغنياء وذوو اليسار . وذكر ان المطرف رداء في طرفيه علمان[3] .

ولبس الجاهليون القباء . وقد كان كسرى قـد أهدى (الأكيدر) قباءً من ديباج منسوج بالذهب[4] . وكان من عادة الأكاسرة أن يكسوا الرؤساء وسادات القبائل أقبية من الديباج ، للتلطف والاسترضاء .

واكتسبت البرد اليمانية شهرة كبيرة بين الجاهليين ، وبقيت شهرتها في الاسلام ، وهي ذات ألوان . وفي كتب الأخبار : ان وفد رؤساء مكـــة حينما ذهبوا الى سيف بن ذي يزن ، لتهنئته ، ودخلوا عليه في قصر غمدان ، وجدوه متضمخاً بالعنبر ، يلمع وبيصُ المسك في مفرق رأسه ، وعليه بردان أخضران قد ائتزر بأحدهما[5] .

واشتهرت برود (تزيد) عند العرب كذلك وضرب بها المثل ، كما يضرب

---

١ تاج العروس (٣/١١) ، (أزر) .
٢ تاج العروس (٣/٥٨٥) ، (نمر) .
٣ فقه اللغة (٢٤٦) . الطبقات (٧/٢٣) ، البيان (١/٢٠٦) .
٤ الاصابة (١/١٢٦) .
٥ العقد الفريد (٢/٢٣ وما بعدها) ، الثعالبي ، ثمار القلوب (٥٩٨) .

ببرود اليمن . وذكر ان العرب تنسب البرود الفاخـــرة الى تزيد ، وتزعم انها قبيلة للجن[1] .

ولبس الجاهليون الألبسة الحمراء مثل : المياثر الحمر والألبسة الحمراء البحتة القانية . وذكر ان الرسول نهى عن لبس الألبسة الحمراء الخالصة التي لا يخالط لونها هذا لون آخر . ولم ينه عن لبس الألبسة المخططة بحمرة مع لون آخـــر ، مثل الحلل اليمانية ، وهي إزار ورداء ، منسوجان بخطوط حمر مع الأسود . كما نهى الرجال من لبس الربط المضرجة بالعصفر ، لأنها من لبس الكفار[2] .

ولبس العرب الثياب المصبغة ، وذكر أن ساداتهم كانوا يصبغون ثيابهم بالزعفران. وان من صبغ ثيابه به (ذو المجاسد)[3] . وهو من حكّام الجاهلية وفقهائهـــا . وذكر أن العرب كانت مصفقة على توريث البنين دون الأناث ، فورّث مالـه لولده في الجاهليـــة للذكر مثل حظ الانثيين . فوافق حكم الإسلام[4] . وورد أن ملحفة رسول الله التي يلبس في أهله مورسة حتى انها لتردع[5] على جلده[6] .

وقد كان الأغنياء والشباب يبالغون في ألبستهم ، فكان منهم من يشمر ثوبه، ومنهم من يسبله ويتركه يجر الأرض ، ومنهم من يبالغ في ردائه خيلاء وتيهـــاً وتكبراً . ونظراً الى ما يتركه من أثر في نفوس الفقراء ، والى ما فيه من اسراف وتبذير في استعمال الأقمشة ، نُهي عن فعل ذلك في الاسلام . وورد النهي عن ذلك في كتب الحديث[7] . وورد النهي عن لبس القمصان ذات الأكمام الواسعـــة الطوال التي هي كالأخراج ، لأنها من جنس الخيلاء[8] .

ويلبس العرب النعال في أرجلهم ، ويفضلونها على غيرها من ألبسة الرجل مثل الخف . وقد ورد ذكرها في شعر النابغة[9] . وتصنع من الجلود المدبوغة، ولا سيما

---

١ الثعالبي ، ثمار (٥٩٨) .
٢ زاد المعاد (١/٣٥) .
٣ تاج العروس (٢/٣٢٠) ، (جسد) .
٤ المحبر (٢٣٦ ، ٣٢٤) .
٥ تردع تنفض صبغها .
٦ عيون الاخبار (١/٢٩٦) ، (باب اللباس) .
٧ ارشاد الساري (٨/٤١٦) ، (كتاب اللباس) .
٨ زاد المعاد (١/٣٥) .
٩ رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب
البيان (٣/١٠٧) .

جلود البقر[1] . ويذكر بعض أهل الأخبار أن أول من حذا النعال هو جذيمة الأبرش بن مالك[2] .

وقد ضرب العرب المثل بموضع تجميع الأنعلة في الذلة والهوان . فقيل : هو في صف النعال ، لا في صف الرجال[3] . دلالة على أن الرجل من الطبقة الذليلة .

والخفاف ، جمع الخف،هي في منزلة النعل عند العرب . لبسوها في أرجلهم، وشاع استعمالها بين أهل المدر في الحجاز وفي الأمكنة الأخرى . وذكرت في كتب الفقه ، في باب الوضوء والصلاة ، حيث جوّز الفقهاء المسح على الخفين .

وورد النهي باستعمال الخفين للمحرم إلاّ عند عدم النعلين[4] ، وذلك يدل على استعمال أهل الحجاز للخفاف قبيل الإسلام .

ومن الخفاف ، نوع يقال له (الموزج) ، ويذكر بعض علماء اللغة ان اللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وان أصلها (موزه)[5] . وهناك نوع آخر يسمى (الموق) ويجمع على (أمواق) ، وقد عرف بأنه خف غليظ يلبس فوق الخف . ويظهر من بيت للشاعر المخضرم النمر بن تولب ، ان العباديين كانوا يلبسون الأمواق ، إذ وصف مشية النعاج بمشي العباديين في الأمواق[6] .

وورد في الأخبار : ان العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف[7] .

وورد ان النساء كن يلبسن الخفاف ، وقد ورد أن أصحاب رسول الله كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر . ويقولون : هو من زينة آل فرعون[8] . ويعني هذا ان نساء الجاهلية كن يلبسن الخفاف الملونة ، فوجد المسلمون ان في ذلك تقليداً للأعاجم فأمرهن بنبذ الملون منها .

---

١ بلوغ الارب (٣/٤١٥) .
٢ المعارف (ص ٢٤١) .
٣ الثعالبي ، ثمار (٦٠٧) .
٤ شمس العلوم ، الجزء الاول ، القسم الاول (ص ١٤٩) .
٥ الجواليقي (ص ٣١١) ،
٦ فترى النعاج به تمشي خلفة مشي العبادين في الامواق
الجواليقي (ص ٣١١) ، جمهرة ابن دريد (٣/١٦٦) .
٧ البيان (٣/١٠٦) .
٨ بلوغ الارب (٣/٤١٣) .

وقد ضرب العرب المثل بخفي حنين عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة . فيقال : رجع بخفي حنين . وكان حنين إسكافاً من أهل الحيرة ، فساومه أعرابي بخفين ، فاختلفا حتى أغضبه الأعرابي ، وأراد حنين غيظ الأعرابي ، فلما ارتحل أخذ أحد خفيه ، فطرحه ، ثم ألقى الآخر في مكان آخر ، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال : ما أشبه هذا الخف بخفي حنين ولو معه الآخر لأخذته ، ومضى فلما انتهى الى الآخر ندم على تركه الأول ، فأناخ راحلته ورجع في طلب الأول ، وقد كان حنين كمن له ، فعمد الى راحلته وما عليها فذهب بها ، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا خفان . فقال له قومه : ماذا جئت به من سفرك ؟ قال جئتكم بخفي حنين . فذهبت كلمته مثلاً[1] .

وحيث أنني سأتكلم عن ملابس الجاهليين بشيء من الأطناب في أثناء حديثي عن الحرف ، لذلك أكتفي بما ذكرته في هذا الموضع عن الملابس ، على أمل التحدث عنها في ذلك المكان .

ومن عادة أهل (نجد) الاستصباح بـ (الداذين) . مناور من خشب الأرز ليستصبح بها . وهي بنجد من شجر المظ[2] .

ومصابيح القوم من الفخار ، أي الطين المشوي بالنار ، يوضع في بطنه زيت الوقود تتصل به فتيلة تولع بالنار ، ليستضاء بها ، وذلك في الأماكن التي يندر فيها استعمال الحجر . أما في الأماكن الجبلية ذات الحجر ، فتستعمل كذلك المصابيح المستعملة من الحجر ، وخاصة في بيوت الكبار والموسرين . ويستعملون فيها زيت الزيتون . ولا يزال بعض الناس يستعملون هذه (الضواية) في الإنارة[3] ، وتعرف بـ (المسرجة) كذلك . و (السراج) هو المصباح والنبراس . و (القراط) شعلة السراج ، و (الذبال) ما يحمل (السراج) . ويقال سغّم المصباح ، أي مدّه بالزيت . والنسيلة الفتيلة في بعض اللغات . والمشاعل القناديل والزهليق السراج في القنديل[4] .

---

١ الثعالبي ، ثمار (٦٠٦) .

٢ تاج العروس (١٩٨/٩) ، (ددن) ، اللسان (١٥٣/١٣) ، (دذن) .

٣ نزية مؤيد العظم (ص ٧٨) .

٤ المخصص (٣٨/١١ وما بعدها) .

أما الأعراب ، فلم يكونوا يعرفون المصابيح ، ومصابيحهم نجوم السماء وضوء القمر يهتدون بها ويستلهمون منها معنى الحياة .

المأكل والمشرب :

يختلف أكل العرب عن أكل الأعراب . كما يختلف أكل أهل كل مكان عن أكل أهل مكان آخر من جزيرة العرب . وأكل الحضر ، متنوع نوعاً ما بالنسبة الى مأكول أهل الوبر . لفقرهم ولشح باديتهم . ولذلك صار طعام الأعراب على العموم بسيطاً . وقد أثر اختلاف نوع الطعام على هيئة الإنسان ووزن جسمه . فصار جسم الأعرابي نحيفاً في الغالب ، لبساطة أكله ، وقلة المواد النشوية والدهنية فيه .

ومن عادات العرب أنهم يقلون من الأكل . ويقولون : البطنة تذهب الفطنة ، و (البطنة تأفن الفطنة) . وكانوا يعيبون الرجل الأكول الجشع . ويرون أن (الأزم) ، أي قلة الأكل أفضل دواء لصحة الأبدان . قيل للحارث بن كلدة ، طبيب العرب في الجاهلية : ما أفضل الدواء ؟ قال : الأزم . ولهم في ذلك أمثلة كثيرة في الأزم ، وضرر البطنة . رووا بعضاً منها على لسان لقمان ، ورووا بعضاً آخر على ألسنة الحكماء العرب . وهم يعالجون البطنة بالحمية . لأن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء[1] . وهم يرون أن الشبع والامتلاء يضعف الفطنة . أي الشبعان لا يكون فطناً[2] لبيباً . فللأكل علاقة كبيرة بالفطنة والعقل والذكاء .

وللعرب مصطلحات عديدة في درجات الأكل . أي من حيث كيفية تناول الطعام ، ومن حيث الاقبال عليه الى حد التخمة . ولما كان الاكثار من الأكل معيباً عندهم وضعوا ألفاظاً في هؤلاء الذين كانوا يسرفون في الأكل ، فإذا دعوا الى وليمة أسرفوا في الأكل ، وأقدموا عليه ، وكأنهم جاؤوا من سني قحط . وعابوهم ، ومدحوا من اعتدل في أكله وتوسط فيه ، وأظهر نظافة وأدباً في تعاطيه[3] .

---

١ بلوغ الارب (١/ ٣٧٠ وما بعدها) .
٢ اللسان (١٣/ ١٩) ، (أفن) .
٣ بلوغ الارب (١/ ٣٧٩) .

ومن عادات العرب ، انهم كانوا يبكرون في الغداء ، ويرون أن ذلك أقرب الى راحة البدن وصحته ، ويؤخرون العشاء[1] .

ومآكل الأعراب قليلة شحيحة مثل شح البادية ، خاصة إذا انحبس المطر وهلك الزرع . فإن رزقه يقل وقد يذهب ما معه من زاد فيهلك خلق من الأعراب من شدة الجوع . قيل لأعرابي ما طعامكم؟ قال: (الهبيد ، والضباب واليرابيع ، والقنافذ والحيات ، وربما والله أكلنا القد ، واشترينا الجلد ، فلا نعلم والله أحداً أخصب منا عيشاً)[2] . و (الهبيد) : حب الحنظل ، تنقعه الأعراب في الماء أياماً ، ثم يطبخ ويؤكل[3] . وأما القد ، فجلد السخلة . (وفي حديث عمر ، رضي الله عنه ، كانوا يأكلون القد . يريد جلد السخلة)[4] .

وكانوا يفصدون عرق الناقة ليخرج الدم منه فيشرب ، يفعلونه أيام الجوع . كما كانوا يأخذون ذلك الدم ويسخنونه الى أن يجمد ويقوى فيطعم به الضيف في شدة الزمان ، اذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم ما يقويه ، ويشح أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها . و (الفصيد) دم كان يوضع في الجاهلية في معى من فصد عرق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه وتطعمه الضيف في الأزمة . وأما (الفصيدة) ، فتمر يعجن ويشاب بدم . وهو دواء يداوى به الصبيان[5] .

ويقال للفصيد (البجة) كذلك . و (البجة) دم الفصيد ، يأكلونها في الأزمة . والبج الطعن غير النافذ ، فقد كانوا يفصدون عرق البعير ويأخذون الدم يتبلغون به في السنة المجدبة . جاء في الحديث : (إن الله قد أراحكم من الشجة والبجة) ، وورد (أراحكم الله من الجبة والسجة)[6].أي قد أنعم عليكم بالتخلص من مذلة الجاهلية وضيقتها ووسع لكم الرزق وأفاء عليكم الأموال .

وكان أحدهم إذا نال شربة من اللبن الممذوق بالماء ، وخمس تميرات صغار ، ظن نفسه ملكاً ، ودب اليه نشاطه . قال الشاعر :

---

١ بلوغ الارب (١/٣٧١) .
٢ رسالة في الحنين الى الاوطان (٢/٣٩٤) .
٣ المصدر نفسه .
٤ كذلك .
٥ تاج العروس (٢/٤٥٣) ، (فصد) .
٦ تاج العروس (٢/٦) ، (بج) .

إذا ما أصبنا كل يوم مُذيقة وخمس تمـيرات صغـار كنائز
فنحن ملوك الأرض خصباً ونعمة ونحن أسود الغاب عند الهزاهز
وكم متمـنٍ عيشنا لا ينالـه ولو ناله أضحى بـه حق فائز[1]

وأكل الجراد معروف مشهور عند الأعراب. يأكلونه نيئاً ، وقد يطبخونه أو يحمصونه ويلقون عليه شيئاً من الملح. وقد يأكلونه بالتمر . وبغيره ، وهو عندهم طعام لذيذ. ويذكر بعضهم أن الإنسان قد يصاب بالشري من أكله ، وقد يشكو من بطنة قد تصيبه[2] .

وغالب أكل الأعراب لحوم الصيد والسويق والألبان . وكانوا لا يعافون شيئاً من المآكل لقلتها عندهم . حتى أنهم كانوا يأكلون كل شيء تقع أيديهم عليه . ولا نجد من كتب أهل الأخبار ما يفيد تحريم العرب لأكل بعض الحيوان . بل نجد أن اغلبهم قد استباحوا أكلها جميعاً. مهما كان ذلك الحيوان صغيراً او كبيراً حسن المنظر أو قبيحه ، من ذات الأظلاف او من غيرها . حياً كان أم ميتاً[3] . وذلك لفقرهم ولشدة الجوع عندهم . فلما جاء الاسلام حرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير والمختنقة وحدد الذبح وما يمكن أكله من الحيوان ، بسبب ما كان يصيب الناس من أكل لحومها من أضرار .

وقد أكلوا لحوم الحمر الوحشية والحمر الأهلية ، فنهى الاسلام عن أكلها لما في ذلك من ضرر . وتمنّى أحد الرجّاز لو اصطاد ضبّاً سحيلاً سميناً ، ليفوز بلحمه من شدة الفاقة والحاجة الى اللحم[4] .

نعم لقد ورد أن بعض القبائل عافت أكل لحوم بعض الحيوانات ، أو عابت أكل بعض أجزائها ، إلا ان هذا لا يعتبر عاماً ، كما انه من قبيل العرف والعادة أو مما له علاقة بالعقائد عندهم . فقد ذكر ان قبيلة (جعفى) كانت تحرّم أكل (القلب)[5] ، إلا ان هذا التحريم هو تحريم خاص بهذه القبيلة . أما القبائل الأخرى فقد كانت تأكله ولا تبالي ، لأنه غير حرام عندها .

---

١ رسالة في الحنين الى الاوطان (٢/٣٩٤) .
٢ تاج العروس (٢/٣١٨ وما بعدها) ، (جرد) ، (٨/٣١١) ، (رزم) .
٣ بلوغ الارب (١/٣٨٠) .
٤ تاج العروس (٧/٣٥٢) ، (رمل) .
٥ نهاية الارب (١٨/٨٣) .

وفي أيام الشدة وفي الأيام الأخرى أيضاً يرسل الأعراب أولادهم لجمع الحنظل، فإذا جمع نُقِف ، لإخراج هبيده ، أي حَبّه ، لطبخه ، أو تحميصه لأكله . وقد تفاخر (حسان بن ثابت) بالغساسنة ، لأنهم كانوا في بحبوحة من العيش ، وليسوا بصعاليك يرسلون ولائدهم لنقف الحنظل[1] . والى ذلك أشار (امرؤ القيس) بقوله :

كأني غداة البين حين تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل[2]

وقد كانوا يقاسون من شدة الجوع والفقـــر في بعض السنين حتى يموت من يموت منهم من الجوع . قيل : (كانوا اذا اشتد بهم الجوع وخافوا أن يموتوا أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيهـــا ليموتوا جوعاً) ، (ولقي رجل جارية تبكي فقال لها : مالك ؟ فقالت نريد أن نعتفد) ، (والاعتفاد أن يغلق الرجل بابه على نفسه ، فلا يسأل احداً حتى يموت جوعاً)[3] . فالاعتفاد انتحار للتخلص من ألم الجوع .

قال بعض المدنيين لبعض الأعراب : أتأكلون الحيّات والعقـــارب والجعلان والخنافس ؟ فقال : تأكل كـــل شيء إلا ام حُبين . فقال المدنـــي : لتَهْنِ أم الحُبَيْنِ العافية[4] . فالفقر كافر ، والجوع يدفع الانسان الى اكل كل شيء .

والعرب تكني عن الجوع بـ (أبـي مـــالك) . وتسمي الخبز جابراً وعاصماً وعامراً[5] . وقد كنّت عنه وعن الإفلاس بـ (ابـي عمرة)[6] .

وهو على فقر اكله وبساطته وجوعه يهزأ بأكل الحضر ويسخر منـه ، ويرى فيه طعاماً صعباً لا يهضم . وأكلاً لا يناسب مزاج العرب . إذا أكله آكل أصيب بمرض . وهو محقّ في ذلك ، فرجل ذو معدة فارغة ، لا يذوق إلا القليل من الأكل والماء ، لا تتمكن معدته من هضم طعام مهما كان بسيطاً ، فإنه ثقيل بالنسبة

---

١ البرقوقي (ص ٣١٠) ، ديوان حسان (ص ٣٣) (هرشفلد) .
٢ تاج العروس (٦/٢٦٠) ، (نقف) .
٣ تاج العروس (٢/٤٢٦) ، (عفد) .
٤ الحيوان (٣/٥٢٦) ، (هارون) .
٥ الثعالبي ، ثمار (٦/٢٤٩) .
٦ الثعالبي ، ثمار (١/٢٤٨) .

الى معدة الأعرابي . فإذا أقبل على أكل طعام أهل الحضر ، وهو طعام غير مألوف عنده أصيب ببطنة تجعله يكره أكل الحضر ، وطعام أهل القرى والمدن ، ويعجب كيف يأكله أولئك ثم لا يصابون بمكروه . قال أعرابي قدم الحضر فشبع فتخم :

أقول للقوم لما ساءني شبعي ألا سبيل الى أرض بها الجوع
الا حيل الى أرض يكون بها جوع يصدع منه الرأس ديقوع[1]

وقد كان الجاهليون يأكلون كل ما وقع تحت أيديهم من حيوان مقتول أو ميت ، فنزلت الحرمة عن ذلك في الآية: « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله . والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع . إلاّ ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق)[2] . وذكر أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها، فإذا ماتت أكلوها . وأنهم كانوا يضربون الأنعام بالخشب لآلهتهم حتى يقتلوها فيأكلوها . وذكر أن الموقوذة : هي التي ترمى أو تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية . والوقذة شدة الضرب[3] .

وأما المتردية ، فهي التي تتردى من العلو الى السفل فتموت ، كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه . وسواء تردت بنفسها أو ردّاها غيرها . وكانت الجاهلية تأكل المتردي ، ولم تكن تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع ونحوه دون سبب يعرف. فأما هذه الأسباب ، فكانت عندها كالذكاة . فحصر الشرع الذكاة في صفة مخصوصة . وبقيت هذه كلها ميتة . وكذا النطيحة وأكيلة السبع التي فات نفسها بالنطح والأكل[4] . وكانت الجاهلية تأكل النطيحة الميتة كما تأكل الشاة التي يأخذها السبع فتخلص منه ، وكذلك إن أكل بعضها[5] .

وقد كان الجاهليون يستحلون أكل المحرمات المذكورة التي حرمت في الاسلام، ويأكلون ما يذكى من الحيوان على الأنصاب للأصنام ، وما يذكى على غير

---

١ تاج العروس (٥/٣٣١) ، (دقع) .
٢ المائدة ، الاية ٣ .
٣ الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (٦/٤٧ وما بعدها) .
٤ الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (٦/٤٩) .
٥ المصدر نفسه (ص ٥٠) .

الأنصاب على نحو ما يفعل القصاب . والذكاة في كلام العرب الذبح . فلما جاء الاسلام حدد الذبح ، على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات وفيه حياة ، ولو بعض حياة . فأبطل ذكاة ما خمد نفسه من حيوان[1] . وهو بهذا خالف الجاهليين، إذ لم يشترطوا الشروط التي اشترطها الاسلام في الذبح .

وللأغنياء والحضر آداب في مآكلهم ، تبدأ بغسل الأيدي في الغالب ، لازالة ما قد يكون قد علق بها من أتربة وأوساخ ، فإذا انتهوا من غسل الأيدي ، أكلوا بها . إذ قلما كانوا يستعملون السكاكين و (الملاعق) و (الشوكات) في أكلهم على نحو ما كان يفعله أغنياء العجم . واذا انتهوا من طعامهم غسلوا أيديهم كذلك لتنظيفها من الدسم ومن المواد الأخرى التي تكون قد علقت بها من بقايا الطعام . والأكل باليد عادة شائعة بين الشعوب السامية ، يرون لها مزايا على الاستعانة بأدوات الأكل في الأكل ، حتى صارت في حكم العرف والعادات، بل جعل الأكل باليد من السنن المحببة في الدين .

وتستعمل (الربطة) وهي المنديل و (الفوطة) لمسح اليد وتنشيفها من الماء[2] . وقد استعمل الملوك والأغنياء المناديل المصنوعة من الحرير أو من الكتان ، وهي غالية ثمينة . وذكر بعض علماء اللغة ان الربطة لا تكون إلا بيضاء[3] . والمنديل الذي يتمسح به من أثر الماء وغيره[4] . ويظهر أن (الفوطة) و (الفوط) من الألفاظ المعربة ، ذكر انها من لغة سندية معربة (بوته) . وهي في الأصل ثياب تجلب من السند ، غلاظ قصار تكون مآزر ، أو هي مآزر مخططة يشتريها الجمالون والأعراب والخدم وسفل الناس ، فيأتزرون . ثم استعملت في معنى (منديل) و (مناديل) ، يضعها الإنسان على ركبتيه ليقي بها ملابسه عند الطعام[5] .

وقد استخدم الملوك والأغنياء الخدم في تقديم والأطعمة والأشربة ، وكما كان يفعل ملوك الفرس والروم وسراتهما ، في كسوة خدمهم أكسية خاصة نظيفة

---

١ الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي (٦/٥٠ وما بعدها) .
٢ البرقوقي (ص ١٤٦) .
٣ تاج العروس (٥/١٤٥) ، (ربط) .
٤ تاج العروس (٨/١٣٢) ، (ندل) .
٥ تاج العروس (٥/٢٠٠) ، (فوط) .

وإلباسهم (سرابيل) ، معتملة ، كذلك فعل ملوك العرب وسراتهم ولا سيما عرب العراق وبلاد الشأم ، بخدمهم ، وقد قرطوا آذانهم بالنطف أي الأقراط أحياناً مبالغة في تزيينهم ، حتى يعطى جوّ المآدب والضيافة لوناً شعرياً خاصاً . فإذا قدم شيئاً ، وضع المنديل أو الديباجة على كتفه ، ووضع تحت صحن الطعام شيئاً ، ثم يقدمه الى الضيوف[1] .

ويختلف الحضريّ عن الأعرابي في طريقة أكله . فإذا تناول الحضريّ لقمة صغرها وأكلها بأطراف الأسنان ، وحاول جهده ألاّ يملأ فمه بلقمة كبيرة ، فيبدو الفم منتفخاً منها . وهذا ما يخالف مألوف الأعرابي . (قدم أعرابي على ابن عم له بمكة ، فقال له : إنّ هذه بلاد مقضم وليست ببلاد مخضم). والخضم أكل بجميع الفم . والقضم دون ذلك[2] . وقيل الخضم : ملء بالمأكول[3] .

ويعد أكل (اللحوم) من أطايب الحياة ، ومن المفاخر التي يتباهى بها الناس على غيرهم ، إذ لم يكن في ميسور كل إنسان الحصول على اللحم ، ولا سيما (اللحم السمين) . وإذا أضيفت اليها الخمور والطيب ، والنساء ، تمت بذلك مباهج الحياة . وقد عبّر عن (الخمور واللحم والطيب) ، بالأحامرة الثلاثة . وكانت هذه تستنزف المال ، لما ينفق الانسان في الحصول عليها من ماله . قال الأعشى :

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت مالي ، وكنت بها قديماً مولعا

وقال :

الخمر واللحم السمين ، وأطلي بالزعفران ، فلن أزال مولعا[4]

وكان من تنصر من العرب يأكلون لحم الخنزير . يأكلونه أشد الأكل ، ويرغبون في لحمه أشد الرغبة[5] . وذكر أن غيرهم كانوا يأكلونه أيضاً . وزعم

---

١ وذا نطف يسعى ملصق خده بديباجة تكفافها قد تقددا
البرقوقي (ص ١٤٦) .
٢ تاج العروس (٩/٢٩) ، (قضم) .
٣ تاج العروس (٨/٢٧٩) ، (خضم) .
٤ اللسان (٤/٢٠٨ وما بعدها) .
٥ الحيوان (٤/٤١ وما بعدها) ، (هارون) .

(أن العرب لم تكن تأكل القرود) ، وروي انهم كانوا يأكلون كل شيء يقع بين أيديهم لشدة الفاقة والحاجة ، ولا سيما الأعراب[1] . فأكلوا دم (الفصيد) ، وكانوا يحبونه ، ويرون انه يورث القوة[2] .

وورد في ألسنة الناس (أهلك الرجال الأحمران : اللحم والخمر) . وورد أيضاً (أهلك النساء : الأحمران ، الذهب والزعفران) . وذلك لما كان الرجال والنساء ينفقونه من مال للحصول على هذه الأشياء[3] . وورد أيضاً : (الأحمران : الطيب والذهب)[4] .

وتسربت الى أهل الحجاز وسائر جزيرة العرب مأكولات أعجمية أخرى ، حافظت بعضها على أصالتها وعلى عجمتها . فذكر ان أهل المدينة ، لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر ،علقوا ببعض مأكولاتهم ، فسموا السميط (الرزدق) والمصوص المزور ، والبطيخ الخريز[5] ، ومأكولات أخرى ، أدخلها هؤلاء الفرس وأمثالهم بحكم نزولهم على العرب قبل الاسلام .

والثريد ، هو طعام محبوب مشهور عند العرب . وهو طعام يتكون من فت الخبز وتهشيمه ثم بله بالمرق . والغالب أن يكون بالمرق واللحم . وقد اشتهر (هاشم بن عبد مناف) ، بتقديمه الثريد لقومه[6] .

ومن أكلات العرب المعروفة (الحريقة) ، وهي أن ينثر الدقيق على ماء أو لبن حليب فيحتسى ، وهي أغلظ من السخينة يبقى بها صاحب العيال على عياله وقت الشدة[7] . و (الحيسة) وهي تمر وسمن وأقط ، وقد أهدت (أم سليم) حيسة الى الرسول وضعتها في (برمة) في قدر من حجر ، وأرسلتها اليه ، لمناسبة دخوله بـ (زينب)[8] .

---

١ الحيوان (٤/٤٤ وما بعدها) ، (هارون) .
٢ الحيوان (٤/٩٦) ، (هارون) .
٣ تاج العروس (٣/١٥٤) ، (حمر) .
٤ اللسان (٤/٤٠٨) ، (حمر) .
٥ البيان (١/١٩) .
٦ وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي :
عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
معجم الشعراء (ص ٢٠٠) .
٧ بلوغ الارب (١/٣٨٣) .
٨ ارشاد الساري (٨/٦٨) .

وعند العرب أكلات تعير بها من يأكلها ، منها (السخينة) ، وهي تتخذ من الدقيق ، دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وإنما يأكلونها في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال . والظاهر أنها كانت أكلة معروفة عند قريش خاصة، لذلك عُيّرت بها . وقد عَيَّرها (حسان بن ثابت) بها ، فدعاها (سخينة)[1]، كما سمّاها بهذه التسمية كعب[2] .

وقد مازح (معاوية) (الأحنف بن قيس) ، فقال : ما الشيء المُلفّفُ في البجاد ؟ قال : هو السخينة يا أمير المؤمنين[3] . وإنما أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مـات ميت من تميم ... فسرّك أن يعيش فجيء بزادِ
بخبـز أو بتمر أو بسمن ... أو الشيء الملفف في البجـاد
تراه يطوف في الآفاق حِرْصاً ... ليأكل رأس لقمان بن عـاد

وكان الأحنف من تميم ، وإنما أراد الأحنف بالسخينة رمي قوم معاوية بالبخل، لأنهم كانوا يقتصرون عليها عند غلاء السعر حتى صار هذا اللفظ لقباً لقريش[4] .

والشواء هو الطريقة الشائعة بين الأعراب وأهل الريف في طبخ اللحوم . فهو وطريقته سهلة : توقد نار ، ثم يوضع اللحم عليها ، ومتى نضج أكل . فكان أهل الوبر إذا اصطادوا أو ذبحوا لضيف،أوقدوا ناراً ، واشتووا اللحم وأكلوه . ونجد في قصص أجواد العرب، مثل حاتم ، انهم كانوا ينحرون الإبل أو يذبحون فرساً ، ثم يوقدون ناراً فيشوون اللحم عليها . ويدعى الناس الى الأكل ، فإذا فرغوا منه ، مَسَحوا أيديهم بكل ما يكون أمامهم ، حتى أعراف الجياد . كما نجد ذلك في شعر لامرىء القيس[5] .

وللعرب أواني استخدموها لتقديم الطعام بها الى الضيوف . منها : الفيخة والصحفة ، وهي تشبع الرجل ، والمكتلة تشبع الرجلين والثلاثة ، والقصعة تشبع

---

١ زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب
اللسان (٢٠٦/١٣) ، (سخن) ، تاج العروس (٢٣٢/٩) ، (سخن) ، ونسب
٢ هذا الشعر الى (كعب بن مالك) ، بلوغ الارب (٣٨٢/١) .
٣ اللسان (٢٠٦/١٣) ، (سخن) ، تاج العروس (٢٣٢/٩) ، (سخن) .
٤ بلوغ الارب (٣٨٢/١) .
٥ نمشي بأعراف الجياد أكفنا ... اذا نحن قمنا عن شواء مضهب
الثعالبي ، ثمار (٢١٩) .

الأربعة والخمسة ، والجفنة تشبع ما زاد على ذلك ، والدسيعة وهي أكبر الأواني عندهم . وقيل أكبرها الجفنة التي ورد ذكرها في شعر الشعراء على سبيل الفخر والمدح[1] .

الذبح :

والغالب على الجاهليين ذبح الحيوان،لأخذ لحمه ، وذلك بقطع الحلقوم بسكين[2]. يفعلون ذلك في الشياه والكباش والتيوس والطيور والدجاج . أما بالنسبة الى السمك وما يستخرج من البحـــر ، فإنهم يتركونه حتى يموت ، أو يشقون بطونها وقد يذبحونها أيضاً . ويأكلون الميت منه كذلك . وأما الإبل ، فإنهم ينحرونها ، ونحر البعير طعنه في منحره[3] . وكانوا اذا أرادوا نحر البعير عقروه ، أي قطعوا أحد قوائمه ثم ينحر ، يفعل ذلك به كيلا يشرد عند النحر[4] .

هذا هو الأصل في الحصول على اللحم ، ولكنهم كانوا كما جـــاء في القرآن الكريم لا يعافون أكل الميتة والمختنقة والمتناطحة ، لفقرهم وجوعهم . مع ما كان يلحقهم من ضرر من أكلها بسبب فسادها . ولذلك حرم أكل لحومها في الإسلام.

والعادة عند العرب أن من العيب بيع شيء من طعام لمن هو في حاجة اليه . وهم يشعرون بالخجل وبالإهانة إذا طلب معسر طعاماً أو شراباً كلـــبن أو ماء ثم لا يجاب طلبه،أو يطلب عن ذلك ثمناً يقبضه مقابل ما قدم من طعام أو شراب . لأن القرى واجب على كل عربي،ولا يكـون القرى بثمن . فكيف يقف إنسان موقف بخل وإمساك أمام مرمل محتاج[5] .

ويقال لكل ما يؤكل (الطعـــام) ، فالطعام اسم جامع ، وجمعه أطعمة . وأشهر وجبات الطعام عند العرب الغداء والعشاء . فالغداء وقت الغدي ، والعشاء وقت العشي . أما الفطور ، وهو ما يتناوله الإنسان صباحاً ، أي عند نهوضـــه

---

١ تاج العروس (١٦٢/٩) ، (جفن) ، بلوغ الارب (٣٨٧/١) .
٢ اللسان (٤٣٦/٢) وما بعدها ، (ذبح) .
٣ تاج العروس (٥٥٧/٣) ، (نحر) .
٤ تاج العروس (٤١٥/٣) ، (عقر) .
٥ تاج العروس (٣٥١/٧) ، (رمل) .

من نومه ، فليس له عند غالبية العرب مقام كبير ، كمقام الغداء أو العشاء ولا سيما عند أهل الوبر ، وحظه مع ذلك عند أهل المدر أحسن حالاً وأكثر مكانة. والطعمة : الدعوة إلى الطعام[1] .

ويعبر عن الطعام بـ (الزاد) كذلك. وورد أن الزاد : طعام السفر والحضر. وورد : التزود بمعنى اتخاذ الزاد . وأمـا (العيش) ، فالزاد والطعام في لغة أهل اليمن[2] .

الضيافة والأضياف :

وعرف الجاهليون بالقرى ، أي اطعام الأضياف . والجود خلة يتفاخر بهـا العرب ويتسامون ، حتى إن بعضهم أوقد ناراً ليراها الأضياف فيستدلون بها على المنزل ، وتسمى هذه النار : (نار القرى) ، أي نار الضيافة . وأفقر رجـل عندهم يقوم قدر حاجته وامكانه بإكرام من يفد عليه . والبخل سجية مذمومـة يعاب بها ، وتكون سبة بين الناس . وهو لؤم ، واللؤم قبيح بالعربي .

ولا يقتصر واجب المضيف على تقديم الطعام لضيفه والترحيب بـه ، بل عليه حمايته والدفاع عنه ما دام في بيته . فإذا اعتدى عليه ، كان الاعتداء كأنه وقع على المضيف ، وخزي وكسف اسمه بين الناس . يلحق العار به وبأسرته ، فلا بد له من حماية ضيفه والدفاع عنه مهما كان شأنه وحاله من ضعف وفقر ، فإن كان عاجزاً استدعى قومه للدفاع عن اسمه من المعتدين .

وخفرة الجار ثلاث ، فإذا انتهى الأجل ومضى اليوم الثالث ، انتهت خفرة الجوار ، وعلى الضيف الخروج . وفي أثناء الضيافة ونزول الضيف في خفـرة مضيفه ، يكون في مأمن وفي حمى جاره ، فإن وقع عليه شيء ، طالب مضيفه بالانتصاف ممن أهان ضيفه ، لأنه في ضيافته،وتكون الإهانة كأنها قد لحقت به[3] .

وورد في الأخبار أن العرب أصحاب حياض . وانهم كانوا يقرون في الحياض

---

١ المخصص ، لابن سيدة (١١٨/٤) .
٢ المخصص (١١٩/٤) ، تاج العروس (٣٦٦/٢) ، (زاد) .
٣ الفاخر (٢٢٠) .

وينفون الأقذاء عن الماء[1] ، وذلك لما للماء من أهمية في جزيرة العرب، فعليه تتوقف حياة الانسان . ولذلك عدت السقاية في مكة مفخرة من مفاخر قريش . وقد فسرت هذه السقاية بأنها وضع الماء في حياض داخل الحرم ليستقي منها الحاج ، والاستقاء مجاناً من ماء زمزم للفقراء والمعوزين . وقد يكون هذا هو الأصل من السقاية . غير ان أهل الأخبار يشيرون أيضاً الى نوع آخر من السقاية كان يليها الهاشميون في مكة وذلك بإسقاء الحاج الزبيب المنبوذ في الماء مجاناً لهم[2] . وهو أغلى وأثمن من الماء .

وذكر ان (بني أفصى بن نُذير بن قسر بن عبقر) ، وهم من بجيلة ، كانوا (لم يتزل بهم نازل قط إلا عمدوا الى ماله فحبسوه ودفعوه الى رجل يرضون أمانته ومانوه بأموالهم ما أقام بين أظهرهم . فإذا ظعن أدوا اليه ماله ورحلوا معه. فإن مات ودوه ، وإن قتل طلبوا بدمه ، وإن سلم ألحقوه بمأمنه . وفي ذلك يقول عمرو بن الخثارم :

ألا من كان مغتربآ فإني لغربته على أفصى دليل
يعينون الغنيّ على غناه ويثرو في جوارهم القليل[3]

وطبيعي أن يكون بينهم من يشذّ عن العرف ويخالف المألوف ، فيمسك يديه ويبخل . فقد روي أن ناساً سافروا من الأنصار فأرملوا فمروا بحي من العرب فسألوهم القرى فلم يقروهم،وسألوهم الشراء فلم يبيعوهم ،فأصابوا منهم وتضبطوا. أي أخذوه على حبس وقهر[4] .

ولائم العرب :

وللعرب في المناسبات ولائم يقيمونها يدعون اليها الأقرباء والجيران ومن لهم معرفة بهم ، لمشاطرتهم الأنس والفرح في تلك المناسبة . كما كانوا يدعون الناس

---

١ الميداني ، مجمع الامثال (١/٣٦٤) .
٢ تاج العروس (١٠/١٨١) ، (سقى) .
٣ المحبر (ص ٢٤٣) .
٤ تاج العروس (٥/١٧٥) ، (ضبط) .

الى الطعام في أوقات الأتراح أيضاً ، وذلك مثل وفاة عزيز ، أو مرور أمد على ذكراه ، ولهم ولائم أيضاً في المناسبات الدينية . والغاية من كل ذلك هو مشاطرة من يدعون أصحاب الدعوة في مشاعرهم والاجتماع بهم . ويذكر علماء اللغة أن (الوليمة) طعام العرس ، أو كل طعام صنع لدعوة وغيرها . وقد كانت العادة إيلام الولائم في الأعراس ، لذلك غلب اسم الوليمة على وليمة العرس . وذكر أن الرسول قال لعبد الرحمن بن عوف : أولم ولو بشاة . أي اصنع وليمة[1] .

والدعوة اسم لكل طعام دعيت اليه الجماعة . فهي تشمل كل أنواع الطعام والدعوات . وبهذا المعنى ترد لفظة: المأدبة . حيث يدعى الناس الى الطعام لمختلف المناسبات . وهي أعم من الوليمة[2] .

وتذبح الذبائح في الولائم ولمناسبات اكرام الضيوف . والمفرد (ذبيحة) . وان كانت تدل على أنثى ، غير أنها قد تكون حيواناً ذكراً . فلا يشترط فيها أن تكون شاة ، بل يجوز أن تكون خروفاً . وهي لا تختص بحيوان معين ، فقد تكون جملاً وقد تكون ناقة . ويقال لما يهلّ للآلهة : (ذبائح) كذلك . وتكون الذبائح في مناسبات إكرام الضيف ، تبعاً لمنزلة الضيف . فإذا كان الضيف ملكاً مثلاً أو سيد قبيلته بولغ في عدد الذبائح التي تقدم له ، إكراماً لمنزلته ومكانته .

والوليمة هي طعام الإملاك ، وقد تطلق على الولائم عامة ، ولكن الناس يخصصونها في الغالب بمثل هذه الحالات . فيقولون وليمة العرس ، ووليمة الختان ، ونحو ذلك . والدعوة أعم من الوليمة . وأما (الخُرس) فطعام الولادة ، وقيل : الطعام الذي يصنع للنفساء لسلامة المرأة من الطلق . و (العقيقة) ، وهي طعام سابع الولادة ، و (الاعذار) (العذيرة) الطعام يصنع للختان ، و (النقيعة) طعام الإملاك ، أي التزويج ، وقيل : وما يصنع للقدوم من السفر ، وقيل : النقيعة التي يصنعها القادم ، والتي تصنع له تسمى التحفة ، و (الملاك) ما يصنع للخطبة ، ويقال : (الاملاك) ، ودعي طعام (الاملاك) بـ (الشندخ) كذلك[3] .

---

١ تاج العروس (٩٦/٩) ، (أولم) .

٢ بلوغ الارب (٣٨٦/١) .

٣ العقد الفريد (٢٩٢/٦) ، بلوغ الارب (٣٨٦/١) ، الفاخر (ص ٩٨) .

وقيل إنما قيل لطعام الإملاك (الشندخ) ، لأن الشندخ هو الفرس الذي يتقدم بقية الخيل . وحيث أن طعـام الإملاك هو طعام يتقدم العرس . أي هو طعام الزفاف ، أو ما يصنع للخطبة ، لذلك قيل له : الشندخ . وذكر بعض العلـماء الشندخ[1] : الطعام يجعله الرجل إذا ابتنى داراً أو عمل بيتاً[2] ، أو قدم من سفر أو وجد ضالته[3] .

وقد أشير الى (النقيعة) على أنهـا الطعام الذي يصنع للقادم ، والناقة التي ينحرها القادم للطعام الذي يتخذه ، في شعر ينسب الى (مهلهل) هو :

إنّا لنضرب بالسيوف رؤوسَهم ضرب القدار نقيعـة القُدّام[4]

وذكر أن النقيعة كل جزور جزرت للضيافة . ومنه قولهم : الناس نقائع الموت. وذهب بعضهم الى أن النقيعة طعام الرجل ليلة يملك[5] .

وورد أيضاً أن (المنقع) ، طعام المـأتم ، وأن النقيعة الذبيحة الـتي تذبح عند الوفاة ، والنقع ، رفع الصوت وشق الجيب[6] . وهذا المعنى يخـالف بالطبع المعنى المتقدم لذلك الطعام .

وإذا قام الانسان بعمل مفيد جديد ، فقد يصنع وليمة لهذه المناسبة . فإذا قام انسان ببناء بيت ، أو أي بناء آخر جديد ، أو استفاد الرجل شيئـاً جديداً ، يتخذ طعاماً يدعو اليه اخوانه وأصدقاءه ، ويسمون ذلك : العذار[7] . وذكر أيضاً ان العذار طعام البناء وطعام الختان ، وأن تستفيد شيئاً جديداً فتتخذ طعاماً تدعو اليه اخوانك[8] .

وأما (الوكيرة) ، فهي طعام يصنع عند تمام البيت يبنيه الرجـل لنفسه ، مشتقة من (الوكر) ، وهو المأوى والمستقر . وعادتهم عند الانتهاء من بنـاء

---

١ المخصص (٤/١٢٠) .
٢ اللسان (٣/٣١) ، (شندخ) .
٣ تاج العروس (٢/٢٦٥) ، (شندخ) .
٤ الفاخر (ص ٩٨) ، اللسان (٨/٣٦٢) ، (نقع) .
٥ تاج العروس (٥/٥٣٠) ، (نقع) .
٦ القاموس (٣/٢٨٩) (النقع) ، المخصص (٤/١٢٠) .
٧ اللسان (٤/٥٥١) ، (عذر) .
٨ تاج العروس (٣/٣٨٧) ، (عذر) .

بيت ، دعوة الأقرباء والأصدقاء الى وليمة لمشاركة صاحب البيت في أنسه وفرحه بتمام البيت[1] .

و (العقيقة) من الولائم التي يدعى الناس اليها ، لمناسبة المساهمة بفرح أهل مولود ، حينما يحلقون شعر رأسه لأول مرة ، أي الشعر الذي ولد به[2] . وقد تكون العقيقة في الأسبوع الأول من ولادة المولود . وعندئذ يعلن عن اسم المولود الذي سيعرف به .

والختان من المناسبات المبهجة في حياة الأسر . لذلك يولم الناس ولائم لهذه المناسبة يدعونها (العذيرة) ، والجمع الإعذار . والمعذور هو المختتن . وقد كان الاختتان معروفاً بين الجاهليين . ويقال للعذيرة أيضاً : العذار والإعذار والعذير . وكل ذلك في معنى طعام الختان . وفي الحديث : الوليمة في الاعذار حق . وورد في الحديث أيضاً : كنا اعذار عام واحد ، أي ختنا في عام واحد . وكانوا يختتنون لسن معلومة فيما بين عشر سنين وخمس عشرة[3] .

و (القِرَى) : ما يصنع للضيف ، و (المأدبة) : كل طعام يصنع لدعوة ، و (الآدب) صاحب المأدبة[4] .

واذا كانت الدعوة عامة مفتوحة للجميع ، قيل لها (الجَفَلى) ، أما اذا كانت خاصة فيقال لها : (النقرى) . وفي هذا المعنى ورد في شعر طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى لا نرى الآدِبَ منها ينتقر[5]

ويقال انتقر الرجل إذا دعا بعضاً دون بعض ، فكأنه اختارهم واختصهم من بينهم[6] .

---

١ العقد الفريد (٦/٢٩٢) ، بلوغ الارب (١/٣٨٦) ، الفاخر (ص ٩٨) ، البخلاء (٢٤٦) ، تاج العروس (٣/٦٠٨) ، (وكر) .

٢ القاموس (٣/٢٦٦) ، شرح ابن عقيل (١/٢٢٣) ، البخلاء (٢٤٦) ، محيط المحيط (٢/١٤٤٢) .

٣ البخلاء (٢٤٦) ، اللسان (٤/٥٥١) ، المخصص (٤/١٢٠) .

٤ العقد الفريد (٦/٢٩٢) ، بلوغ الارب (١/٣٨٦) .

٥ بلوغ الارب (١/٣٨٦) .
نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا نرى الادب فينا ينتقر
تاج العروس (٧/٢٥٨) ، (جفل) .

٦ تاج العروس (٣/٨٥٢) ، (نقر) .

وورد أن الجَفَلى ، ويقال لطعامها الجفالة ، الوليمة ، التي ينـادي الداعي فيها جميع القوم ، أي كل من حضر الى الطعام . ولا يستثني أحداً ، فكل من حضر يحضر تلك الوليمة عكس النقـرى ، حيث ينتقـر الداعي ، أي صاحب الوليمة الأشخاص بأن يذكر أعيانهم ، ولا يدعى غـير هؤلاء المنتقرين الى تلك الوليمة ، وهي لذلك مذمومة . يقال نقرت باسمه ، أي أسميته بين جماعة [1] .

وقد يقدم طعام يتعلل به قبل الطعام ، يعرف عندهم بـ (السلفة) . واذا أريد أن يكرم الرجل بطعامه عبّر عن ذلك بلفظة (القفيّ) . وأما ما يرفع من المرق للانسان ، فيقال له (القفاوة) [2] ، وذلك دلالة على التكريم والتقدير .

وإذا هلّ هلال شهر رجب،دعي بعض الناس الى وليمة يسمونها (العتيرة) [3] . ولشهر رجب حُرمة ومكانة ومنزلة خاصة في نفوس الجاهليين. وقد كان الجاهليون ينذرون ، انهم اذا كثُر مالهم ، فانهم يذبحون منه ، ما يذكرون عدده في هذا الشهر . وكان منهم من يذبح من الإبل حين يبلغ الحد الذي ذكر في النـذر ، ومنهم من يذبح الشاة . كما كانوا ينذرون بتقديم عتيرة في كل نذر آخر يريدون تحقيقه . فاذا أولموا لذلك وليمة أو وزّعوا لحم العتيرة أو طعامها على النـاس فعملهم هذا عتيرة [4] . وهناك عتيرة أخرى،هي الذبيحة التي كانت تذبح للاصنام ويصبّ دمها على رأسها ، فهذه عتيرة أيضاً [5] .

المتطفلون :

وقد عاب أهل الجاهلية أهل التطفل ومن يتحين طعام النـاس ، او يكثر من السؤال . وقالوا للحريص من الرجال (الفلحس) . وقالوا : أسأل من (فلحس)، و (تفلحس الرجل) ، إذا تطفل . وذكر أهل الأخبار أن (الفلحس) رجل من بني شيبان ، زعموا أنه كان إذا أعطي سهمه من الغنيمة ، سأل سهماً لامرأته

---

١ البخلاء (٥٤٦) ، القاموس (٣٤٩/٣) ، البخلاء (٢٤٧) .
٢ العقد الفريد (٢٩٢/٦) ، اللسان (١٦١/٩) ، (سلف) ، (١٩٢/١٠ ومـا بعدهـا) .
٣ بلغ الارب (٣٨٦/١) .
٤ اللسان (٥٣٧/٤) ، المخصص (٩٨/١٣) .
٥ المصدر نفسه .

ثم لناقته ، وكان يسأل سهماً في الجيش ، وهو في بيته ، فيعطى لعزه وسؤدده ، فقالوا : (أسأل من فلحس)[1] . وذكر أنه كان حريصاً رغيباً وملحفاً ملحاً ، وكل طفيلي ، فهو عندهم فلحس[2] .

والطفيلي الذي يدخل الولائم والمآدب بلا دعوة . وقد نسب التطفل الى رجل من أهل الكوفة ، زعموا ان اسمه (الطفيل بن زلال) ، وهو من (بني عبدالله ابن غطفان) ، كان يأتي الولائم بلا دعوة ، وكان يقول : وددت أن الكوفة مصهرجة ، فلا يخفى عليّ منها شيء . فنسب الطفيليون اليه[3] .

المعاقرة :

العقر قطع قوائم الفرس أو الإبل أو الشاة بالسيف ، وهو قائم . يقال جمل عقير . بمعنى مقطوع القوائم وكذلك ناقة عقيرة ، أي قطعت إحدى قوائمها أو قوائمها . وكان الموسرون منهم يتعاقرون ، يفاخر بعضهم بعضاً ويتفاضلون في عقر الإبل ، ويتبارون في ذلك ليرى أيهم أعقر لها ، فيكون له الفضل والفخر على الغير . ومن ذلك معاقرة (غالب بن صعصعة) أبي الفرزدق و (سحيم ابن وثيل الرياحي) ، لما تعاقرا بـ (صوأر) ، موضع من أرض (كلب) من طرف السماوة ، مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلي الشأم[4] . فعقر (سحيم) خمساً ثم بدا له ، وعقر غالب مائة[5] . ذكر أنهم كانوا يفعلونه رياء وسمعة وتفاخراً، ولا يقصدون به غير ذلك ، ولهذا نهي عنه في الإسلام ، لأنه لم يقصد به وجه الله . جاء في حديث ابن عباس : «لا تأكلوا من تعاقر الإعراب ، فإني لا آمن من أن يكون مما أهل به لغير الله . قال ابن الأثير : هو عقرهم الإبل . كان الرجلان يتباريان في الجود والسخاء ، فيعقر هذا وهذا حتى يعجز أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رياءً وسمعة وتفاخراً ولا يقصدون به وجه الله تعالى فشبهه بما ذبح

---

١ تاج العروس (٤/٢١٠) ، (الفلحس) .
٢ الحيوان (١/٢٥٧) ، (هارون) .
٣ تاج العروس (٧/٤١٨) ، (طفل) ، الميداني ، أمثال (١/٣١٧) .
٤ تاج العروس (٣/٣٢٢) ، (صوأر) .
٥ تاج العروس (٣/٤١٥) ، (عقر) .

لغير الله . وفي الحديث لا عقر في الإسلام . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أي ينحرونها ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته . وأصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . وفي الحديث لا تعقرن شاة ولا بعيراً إلاّ لمأكلة ، وإنما نهي عنه ، لأنه مثلة وتعذيب للحيوان »[1] .

مبرات جاهلية :

وكانت للجاهليين مناقب ومبرات ومكرمات، فعلوها في جاهليتهم وقبل إسلامهم. لا ندري إذا كانوا فعلوها عن دين وعقيدة في ثواب تثيبهم الآلهة عليها في هذه الدنيا أو في الدنيا الآخرة ، وذلك بالنسبة لمن آمن بوجود عالم ثان ، أم أنهم فعلوها عن مروءة وكرم نفس . فمنها (السقاية) : سقاية مكة، وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وذلك في ايام الجاهلية. وكانت تعدّ مأثرة من مآثرهم ، او اقامة البيوت في المواسم وعلى الطرق وفي المعابد تتخذ سقاية يستقي منها الناس بلا ثمن . وقد ورد في الحديث : انه كان يستعذب الماء من بيوت السقيا[2] .

ومن مبراتهم قبة عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، لا يدخلها جائع إلا أشبع ، ولا خائف إلا أمن[3] .

ومنها نخل ربيعة بن الأسود اليشكريّ ، وكان جعلها لابن السبيل وكل مقطوع وقبره فيها . فلما كانت حجة الوداع ، ووضع رسول الله كل دم ومكرمة في الجاهلية إلا السدانة والسقايا ، قام ابن ربيعة بن الأسود ، فقال : يا رسول الله إن أبي كان وقف نخلاً له على أبناء السبيل أفهي مكرمة له ؟ فأمضها . فأمره النبي بإمضائها . وقد مدح أولاده ونسله فنعتهم أحد الشعراء بـ (بني مورث

---

١ تاج العروس (٣/٤١٥) ، (عقر) .

٢ اللسان (١٤/٣٩٠ وما بعدها) ، (سقى) ، تاج العروس (١٠/١٧٩) .

٣ المحبر (٢٤١ وما بعدها) .

الأضياف من آل اسود) . وتذكرهم معاوية ، فقال : (وددت أن صاحب نخل ربيعة بن أسود مكان الخلافة لي)[1] .

مياه الشرب :

ولما كان الجفاف هو الغالب على طبع جزيرة العرب ، لذلك قلّ الماء فيها ، واضطر الناس الى قطع المئات من الأميال للوصول الى موضع ماء للتزود به . ولهذا صار عزيزاً عندهم ثميناً ، فقد تنفذ كمية قليلة منه حياة شخص . وتكثر الحاجة اليه بصورة خاصة في الصيف ، حيث تكثر الحرارة ، فيشتد العطش ، ويضطر الانسان الى الاكثار من شرب الماء لكسر حدة ذلك العطش . ولذلك يقترب الناس في موسم الصيف من مواضع الماء ، حتى اذا نفد ما عندهم منه ، ذهبوا الى أقرب ماء اليهم ، للتزود به .

وألذّ المياه عند العرب ماء الغيث . أي ماء المطر ، فإذا جادت السماء به ، سال الى المواضع المنخفضة وتجمع بها ، فيأتي الأعراب اليها للاستقاء منها . ولهم أسماء ومصطلحات عديدة لأنواع المطر ولمواضع تساقطه ، نظراً لما لذلك من علاقة بحياتهم ، ولما لهم من حاجة شديدة الى الغيث .

والعيون والآبار والحسي ، هي من المنابع الأخرى التي أمدت العرب بالماء . والعين ، هي ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض . وقد تطلق على موضع تجمع مطر خمسة أو ستة ايام او أكثر[2] . والبئر ، هي القليب . قد تكون بئراً عادية ، وهي البئر القديمة التي لا يعلم لها حافر ولا مالك ، وقد تكون بئراً يعرف صاحبها وحافرها ومالكها . وقد كان الجاهليون يحفرون الآبار لأنفسهم للاستقاء منها وللزرع بمائها ، كما كانوا يبيعون ماءها لغيرهم . وقد كانت لليهود آبار بالحجاز حصلوا منها على أموال بسبب بيع مائها للمحتاج اليه . واما (الحسي) ، فهي المواضع التي يظهر فيها الماء من جوف الأرض على وجه التربة . ومنها حسي الأحساء وأحساء خرشاف ، واحساء (بني وهب) على خمسة اميال من المرتمى ،

---

١ المحبر (ص ٢٤٢) .

٢ تاج العروس (٢٨٩/٩) .

فيه بركة وتسع آبار كبار وصغار بين القرعاء وواقصة على طريق الحاج، واحساء (غنى) وأحساء اليمامة ، أحساء جديلة[1] .

ويشرب الأعراب الماء بأيديهم، بأن يمدّوا أيديهم في عين الماء أو في مستجمعه ثم يغرفوا منه ، فيشربوه وهكذا حتى يرتووا . وقد ينبطح أحدهم على الأرض، ثم يمدّ فمه الى الماء فيشرب منه . أما بالنسبة الى الآبار والقرب ومخـازن الماء ، فإنهم قد يشربون من أفواه الدلاء او القرب ، وقد يستعملون أواني يشربون بها منها : الغمر ، وهو قدح صغير ، والقدح والتبن ، والصحن والقعب ، وغير ذلك من أسماء ذكرها علماء اللغة[2] .

وقد يتجمع الماء في حفر ، فيكوّن بركاً . وذكر ان البركة مثـل الحوض يحفر في الأرض لا يجعل له أعضاد فوق صعيد الأرض . وذكر ان العرب يسمّون الصهاريج التي سويت بالآجر وصرجت بالنورة في طريق مكـة ومناهلها بركاً . وربّ بركة تكون ألف ذراع وأقل وأكثر . وأما الحياض التي تسوى بماء السماء ولا تطوى بالآجر ، فهي الأصناع[3] .

وذكر علماء اللغة ان (الصنع) ، مصنعة الماء ، وهي خشبة يحبس بها الماء وتمسكه حيناً ، والجمع (أصناع) . وذكر ان (المصنعة) كالحوض أو شبه الصهريج يجمع فيها ماء المطر ، يحتفرها النـاس فيملأونها ماء السماء يشربونها . وورد ان (الحبس) مثل المصنعة[4] .

ولهم في سقي إبلهم عادات . وكانوا يسمّون كل سقية حسب يومها . فإذا سقوا الإبل كل يوم ، قالوا سقيناها رفهاً ، وإذا اوردوها يومـاً وتركوها في المرعى يوماً ، قالوا : سقيناها غبّـاً . واذا اقاموهـا في المرعى بعد يوم الشرب يومين ثم أوردوها في اليوم الثالث يقولون : سقيناها ربعاً ، وهكذا . وتمام ظمأ الإبل في الغالب ثمانية ايام فإذا أوردوها في اليوم التاسع منه، وهو العاشر من الشرب الأول ، قالوا : سقيناها عِشراً بالكسر . الى غير ذلك مما تجده في كتب اللغة عن هذا الموضوع[5] .

ومن أوعية الماء (المهراس) . حجر منقور ضخم لا يقله الرجال ولا يحركونه

١ تاج العروس (١٠/٩) ، (حسى) .
٢ بلوغ الارب (١/٣٩٣ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (٧/١٠٦) ، (برك) .
٤ تاج العروس (٥/٤٢٢) ، (صنع) .
٥ بلوغ الارب (١/٣٩٤ وما بعدها) .

لثقله ، يسع ماءً كثيراً . يؤخذ منه الماء للشرب وللاستعمال ، وقد استعمل في الإسلام للوضوء منه[1] .

والحب ، معروف عند الجاهليين ، يختزن فيه الماء للشرب ، يعمله الكواز والفخار . والكوز إناء يشرب به ، ذكر أنه يكون بعروة ، أما إذا لم تكن به عروة فهو (كوب)[2] . وهناك الأباريق وأوان أخرى استعملت في الشرب .

طرق معالجة الماء :

وللعرب طرق في معالجة المياه المالحة ، مثل ماء البحر ، وفي معالجة المياه الكدرة . من ذلك أنهم كانوا إذا اضطروا الى شرب ماء البحر ، وضعوه في قدر ، وجعلوا فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد منفوش ، ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها الى الصوف ، فإذ كثر عصروه ، ولا يزالون على هذا الفعل حتى يجتمع لهم ما يريدون . فيكون ما استخرج من الماء من عصر الصوف ماء عذب ، ويبقى في القدر الزعاق[3] .

وربما حفروا على ساحل البحر أو شاطىء مجتمع الماء المالح حفرة ، يرشح الماء من الماء المالح اليها ، ويحفرون حفرة أخرى على مسافة منها ، يرشح اليها الماء من الحفرة الأولى ، ثم يحفرون ثالثة ، وبذلك يتحايلون على ملوحة الماء ، حتى يعذب ، فيكون صالحاً للشرب[4] .

ولهم في دفع كدرة الماء حيل . من ذلك أنهم كانوا إذا اضطروا الى شرب الماء الكدر ، ألقوا فيه قطعة من خشب الساج أو جمراً ملتهباً يطفأ فيه ، أو طيناً أو سويق حنطة ، فإن كدورته ترسب الى أسفل[5] . وقد يضعون إناءً تحت حبّ الماء ، لتتجمع قطرات الماء الصافية فيه ، فيشربون منه ماءً صافياً لا كدرة فيه . وربما عرفوا استعمال (الشب) في إزالة كدرة الماء . وهو أنواع ، منه شب يماني[6] .

---

١ اللسان (٦/٢٤٨) ، (هرس) .
٢ تاج العروس (٤/٧٦) ، (كاز) .
٣ بلوغ الارب (١/٣٩٦) .
٤ بلوغ الارب (١/٣٩٦) .
٥ بلوغ الارب (١/٣٩٦) .
٦ تاج العروس (١/٣٠٨) ، (شبب) .